

روايات مصرية للجيب

15

الرجل الذي لم يكن

سافاري

Looloo

www.dvd4arab.com

مقدمة

(سافارى) مصطلح غربى تم تحريفه عن كلمة
(سافريّة) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافارى)
فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش فى أدغال
(إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافارى) التى سنقابلها هنا كانت
تصطاد المرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات
سياسية لا تنتهى .. وبيئة معادية .. وأهل متشككين ..
بطلنا الذى سنقابلّه دوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن
نحبه هو د. (علاء عبد العظيم) .. شاب مصرى
ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط
أدغال (الكامبيرون) ، وفى بيئة غريبة وأمراض
أغرب وأخطار لا تنتهى فى كل دقيقة ..
وفى هذه الروايات نقرأ مذكرات د. (علاء) ..
نعيش معه ذلك العالم العجيب الذى لم تتجح الحضارة
فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة
المجانين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين
لا يمزحون .. وسارقي الأعضاء البشرية .. والعلماء
المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب عى
يظل حيا .. وعى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل
طبييا ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكامبيرون) ..
تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونتسلى
البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..



١ - الحياة تستمر ..

- « لا تينس وحاول ثانية .. إن الأمر ليس مستحيلاً .. فقط تذكر علم التشريح وحاول من جديد .. »

- « منذ جئت إلي (سافاري) وأنا أسمع أن الأمر ليس مستحيلاً .. كأن الطب مجرد هواية يمكن لأي عابر سبيل أن يجيدها لو أراد .. »

- « ربما .. لكنك ستكون في غلبة الخجل وقتها .. »

كان البرد المنبعث من جهاز التكيف يقتلني قتلاً ، بينما أتأمل صورة الأشعة المقطعية على الشاشة ، تلك التي بنت لي ألغازاً لا يمكن فهمها ، وحتى مع إجادتي لعلم التشريح شبه الكاملة ، فإن الأمر يبدو معقداً حين تتخيل الجسد البشري وقد تم تقطيعه إلى حلقات كحلقات البصل ..

كنت في هذه الفترة أعمل في قسم الأشعة
التشخيصية مع طبيب كورى هو (شنج هاو -
شيئج) ، وهو من الطراز الصبور (الكونفوشيوسى)
إياه ، الذى يؤمن أن (أشجار السرو لا تنمو حتى
تصير للرضيع لحية تصل لقدميه) إلى آخر هذا
الهراء ، الذى يناسبنى جداً الآن ..

هل أنا غبى ؟ هل حقاً لا أصلح طبياً ؟ لماذا
أقابل مشكلة فى كل فرع من فروع الطب ؟ بينما
يبدو أن هؤلاء القوم ينعمون بوقت طيب حقاً ؟
كلا .. لست غيباً .. أعرف هذا وأثق به ..
المشكلة هى أن الكثير ما زال ينقصنى ، وهم هنا
يملكون الكثير من العلم حقاً .. علم يحتاج إلى
آباد كي تتعلمه وتلم به .. ترى ماذا سأفعل وأقول
يوم يبدأ فى تعليمي أشعة الرنين المغناطيسى ،
أو أشعة انبثاق البوزيترون ؟ إن علم الأشعة زلخر
بالتقنيات الجديدة ، ولا بد أن الأخ (رونتجن)
- مكتشف أشعة إكس - كان سيصاب بنفس حيرتى

وذهولى ، وهو يرى ما صار إليه الصرح الذى
وضع أول لبنة فيه ثم مات عام 1923 ..

- « سأحاول من جديد .. ولكن كن صبوراً .. »

- « سأكون صبوراً .. إن أشجار السرو لا .. »

- « أعرف . أعرف .. هذا طحال .. أليس

كذلك ؟ »

- « بل هى الكلية اليسرى .. »

- « وهذا هو شريان الطحال ؟ »

- « بل هو شريان الكلية اليسرى ، ما دام هذا

ليس طحالاً .. »

وهنا ألتفتنى نوى مكبر الصوت .. إتهم ينالوتنى ..

وكما قلت آنفاً تصر (سافارى) على مناداة الأطباء

بمكبر الصوت ، بدلاً من تزويدهم بأجهزة استدعاء ،

كأننا فى موقف (السنبلاوين) ولسنا فى وحدة

طبية راقية .. لعله ضغط النفقات على الأرجح ..

- « دكتور (عبد العظيم) مطلوب فى قسم

الطوارئ .. »

لهذا هزرت رأسى لمعلمى الآسيوى ، وطلبت
الإذن .. ابتسم ابتسامة كونفوشيوسية متسامحة
وسمح لى بالرحيل ، عالماً فى الغالب أننى لن
أعود اليوم ، حتى لو استغرقت مهمة الطوارئ
خمس دقائق ..

★ ★ ★

هناك كان طبيب الطوارئ الروسى (فاريا) ،
ومعه اليمنى (أحمد عنان) ، و (أحمد) كما قلت
آنفاً هو وجه جديد هنا ، وسوف يظل وجهها
جديداً حتى يظهر وجه جديد آخر .. شاب نحيل أسمر
له لحية شبيهة بلحيتى إلى حد ما ، ولتفك الأسبب :
الحاجة إلى أن يبدو أكبر سناً . وله علامة مميزة
هى أنه يرتدى سلسلة ذهبية غليظة حول عنقه ،
وهو ما يضايقتى نوعاً لأننى لا أحب الرجل الذى
يرتدى الذهب ، ولا أحب السلاسل عموماً ..

مهنّب جدًا لكنه متحفّظ إلى حد ما ، وفي الغالب
مفرط الحساسية بحيث تجد شيئاً من العسر في
التعامل معه خشية أن تجرحه وأنت لا تدري .
كان (أحمد) مولعاً بأمراض المناعة الخلوية ،
وهي سلسلة معقدة جدًا من الأمراض بعضها
يستحيل قراءة اسمه فضلاً عن حفظه ، وكان هذا
اهتماماً غريباً بعض الشيء .. لا بد لهذه الأمراض
من طبيب .. لكن طبييها في الغالب اهتم بها بحكم
الضرورة لا الولع ، لأنها أمراض ليس لها بريق
وسحر باقى فروع الطب . إن كل طفل يرغب في
أن يكون ضابطاً عندما يكبر ، وفي ذهنه البذلة
الأكيفة والكلب والمسدس ، لكن الطفل الذى يرغب
فى أن يعمل بالرقابة الإدارية فهو طفل فريد من
نوعه !

كان المشهد فى الطوارئ كما يلى : ثمة مريض
إفريقى يتشنج ويصرخ بينما الروسى وممرضتان
يحاولون السيطرة عليه وحققته .. حالة صرع

لا تحتاج إلى عبقري ليشرحها .. ثمة أربعة
أو خمسة مرضى يقينون دما ، بينما امرأة راقدة
على المحفة في حالة صدمة .. (أحمد) وجهه
بلون الليمون والعرق البارد على جبهته وقد
استند إلى المحفة ، وبدا على وشك الإغماء ..

قال الروسي وهو يفرغ محفته في عروق
المريض الصارخ :

- « إنه مريض .. »

قلت في ذكاء :

- « هذا واضح .. »

- « أعنى الطبيب العربى .. قال إنك ستأخذ
مكانه فى الطوارئ .. كما ترى لقد انفتح علينا
باب الجحيم هنا . »

نظرت إلى (عدنان) وفهمت ما هنالك .. بالطبع
لم يتخيل أن يخله أحد العربيين الوجيهين فى
(سفارى) كلها .. أنا لو (بسام) .. هزئت رأسى
أن نعم ، وساعدته على أن يقف :

- « هل أنت بخير ؟ »

قال وهو يتأرجح ويغطي عينيه :

- « بخير .. إنها الحمى .. لا أدري هل الملاريا أم ؟ »

- « لا أعتقد أنها الملاريا .. مادمتم تتعاطى أقراص الوقاية منها .. »

وطلبت منه أن يذهب إلى غرفته ووعده
بالحاق به بعد أربع ساعات ، هي الفترة التي
بقيت له في هذا الجحيم الذي لا يلائم المرضى
المحمومين كثيرا كما ترى ..

صاح الروسي وهو يتلقى صفعات وركلة من
المريض الإفريقي :

- « أسرع وساعدنا .. أرجو تأجيل هذه العواطف
الحارة إلى ما بعد العمل .. »

وهكذا رحل (أحمد) وبقيت في هذه الفوضى ،

ولن يمر قليل إلا وأتمنى أن أصاب بالمalaria أنا
الآخر ، حتى لو كانت قاتلة ..

★ ★ ★

بعد انتهاء ساعات العمل اتجهت إلى غرفة
(عدنان) وهي تقع في نفس الطابق الذي أقيم فيه
طبعاً .. لكنها قرب نهاية الممر .. لو استطعت
لرسمت لكم كروكياً يبين تقسيم الغرف في
(سفاري) ، ولوفر على وعليكم هذا الكثير من
الوصف الممل ..

المهم أنني قصدت غرفة (عدنان) ، ففرعت
الباب ، وكان صوته الواهن المنهك دليلاً على أنه
لم ينام تماماً .. دفعت الباب ودخلت ، فوجدته
على الفراش في أتعس حال ، وجواره صيدلية
كاملة من مخفضات الحرارة وألوية الملاريا ، التي
مزلت - لحسن الحظ - قدرة على أداء دورها في
غرب إفريقيا ، بينما صارت عاجزة في أغلب
بقاع الأرض ..

حييته وسألته :

- « ألم يرك أحد بعد ؟ »

هز رأسه نفياً وكان الترمومتر (المحرار كى
لا يغضب المترجمون) ما زال بين شفتيه ، ثم أشار
إلى كى أجلس ، فجلست على حافة الفراش ، وبدأ
لى المكان مناسباً لأن أنزع حذائى .. إن قدمى
تبيضان ألماً كالبراكين ، ويبدو أن حجمهما ازداد
مرتين ..

بعد دقيقة أخرج الترمومتر وتأمله .. ثم
ناولنى إياه :

- « عيناى زائغان .. هلا قرأته ؟ »

رفعت الترمومتر إلى النور .. تسع وثلاثون
درجة ونصف .. سيكون إعداد الشاى فوق رأس
هذا الفتى ممكناً بعد قليل .. تحسست نبضه
وجسست جبينه .. نار .. ارتدبت حذائى بصعوبة
بالغة ، وفكت وأنا أنهض متجهاً إلى الباب :

- « لا داعي لمزيد من المزاح . ساجد من
بفحصك جيدًا فأنا لست بارعًا في أمور الحميات
هذه .. »

قال محاولاً تهدئة حماسي المتقشب :

- « ليست الأمور بهذا السوء .. سأحسن
سريعًا . »

- « ربما .. لكننا في مستشفى .. مستشفى
كبير متقدم .. إن كان على الأطباء أن يعالوا في
فراشهم وحيدين فلا نزل القطر ! »

وخرجت من الغرفة متجهًا إلى قسم الحميات ،
فكان أن قابلت (آرثر شيلبي) شخصيًا .. الأستاذ
الأمريكي المتبحر .. ماذا يفعل ؟ يتبختر طبعًا
مزهوًا بنفسه ، وقد رفع عويناته إلى أعلى
لتنمك بخصلة أنيقة من الشعر الأشيب على
جبهته ، وكان يدخل غليوًا ضاربًا بعرض الحائط
كل تعليمات منع التدخين هنا .. من يجرو على

مطالبة (آرثر شيلبي) العظيم بإطفاء غليونه ؟
فلا نزل القطر .. فلا نزل للقطر ! برغم أنه
لا يعرف (أبو فراس الحمداني) طبعا ..

قلت له في تهذيب :

- « لدينا مشكلة يا سيدي .. ثمة طبيب
محموم .. وإتنى .. »

بلهجة تمثيلية طوح بزراعيه لأعلى وفتحهما ،
وصاح :

- « بالطبع يا بني بالطبع .. إن المحروم من
الخلاص لا يمنح خلاصا .. هذا مفهوم .. »

اهلته إلى الحجرة ، وكان معه مسماع فبدأ
فحص الفتى على الفور ، بطريقته المدققة
المتمهلة ، ثم نهض وقال :

- « التهاب رئوي ما زال في بدايته .. لا بد
أنه التقطه من أحد المرضى .. أمل أنك لم تصغ
إلى صدره ؟ »

- « هذا حق .. لم أفحصه قط .. »

- « جميل .. خشيت أن تكون فحصته ولم تتبين الأمر .. سننقله إلى قسم الأمراض المعدية ، ونضعه تحت الملاحظة الآن حالاً .. »

قلت معترضاً :

- « ألا يمكن أن نعالجه هنا ؟ إن بعض حقن البنسللين سوف .. »

- « كله إلا هذا ! »

قالها في حسم وعصبية وأضاف :

- « لا مجال للطب الإمبريقي هنا .. سنعطيه مضاداً حيوياً لكن بعدما نصور صدره بالأشعة ونرتب مزرعة حساسية لبصاقة .. بعد هذا نعطيه مضاداً حيوياً متخصصاً .. »

كان قاطعاً في كلامه ، لهذا رفعت سماعة الهاتف طالباً قسم الأمراض المعدية ، وطلبت أن

يعدوا فراشا للضيف الجديد ، وبعد عشر دقائق
كان أكثر السيناريو الذي اقترحه (شيلبي) قد
نفذ .. الحق أنه لبارع كالعادة ، لأن أشعة الصدر
أظهرت التهابا فصيًّا مبكرًا ، ولم يكن الفتى قد
عرف أنه يسعل بعد .. أعطوه مضادا حيويًّا
إمبريقيا حتى تظهر نتيجة المزرعة .. وإمبريقى هذه
ليست سبة .. إن معناها (على أساس الخبرة
وليس على أساس علمي) ..

ظلت جوار الفتى حتى اطمأنت أنه نام ، وأن
حرارته انخفضت ، وأنه أسلم جسده لساعات
راحة كان أحوج ما يكون لها .. بالله ما أعذبها
من ساعات ! وبرغمى حسدته ! المشكلة هي
أننى لا أمرض أبدا هنا .. فى كل صباح أبحث فى
جسدى عن علة ما تبقينى فى الفراش ، وأملأ بها
الدنيا صراخا لكنى لا أجدها أبدا ! والمشكلة
الأخرى أن (سلفارى) آلة قلبية لا ترحم .. وهى
لا ترفق بالتروس الكسالى أو المرهقة .. بل هى

تتخلص منها بكل بساطة .. إن الطرد هين تماماً
على هؤلاء القوم ..

عدت لغرفتي منهكاً مرهقاً .. الفراش يهتز بي
من التعب .. هنا رحت أتخيل أن ما يهزني هما
ذراعا أمي ، وأنا بعد طفل برىء عزيز نظيف
وإدع ناعم .. إنها تغني بصوت رقيق ، والفراش
يهتز .. يهتز ! لا خوف من الغيلان .. إن ماما
ستطردها جميعاً ..

لماذا نمنح كل الحنان ونحن في سن لا تسمح
بفهمه ؟ ولماذا نحرم منه حين نحتاج إليه ؟ لماذا
لا نشعر خخخخخخ !!

★ ★ ★

٢ - انتقام سريع ..

مع الصباح كان موعدي مع يوم جديد من العمل الشاق في قسم الأشعة .. قابلت (برنات) هناك ، وكانت تدلل طفلاً يحاول جراح الأعصاب أن يحقق شرباته السباتي بصبغة ما .. وهي مهمة عسيرة ومن الخير ألا تراها لو لم تكن تعرفها من قبل ..

كورت أنفها بأسلوب التشنيكة المعتاد ، وصاحت حين رأته :

- « هاي (علاء) .. إنه ذلك الورم القديم المعروف » .

هزئت رأسي ولم أجد ما أقول ، ودخلت إلى حيث كان معذبي الكوري ينتظرنى نافذ الصبر بالمزيد من الأحاجي .. وقررت أن يمر اليوم باي

شكل كان ، على أن أعود صديقى اليمنى فى
نهايته ، وهو بالتأكيد قد تحسن بما يكفى الآن ..
لو لم يتحسن التهاب الرئوى ، فأية أمراض
تتحسن إذن ؟

★ ★ ★

دخل (أبراهام ليفى) الغرفة الباردة ، وبالطبع
تظاهر بأنه لم يشده لوجودى هناك خلف منصة
التحكم فى جهاز الأشعة المقطعية ، وراء الحاجز
الزجاجى .. إن علاقتنا بعد موضوع ذباب (تسى
تسى) إياه صارت بسيطة جداً .. أنا أنوى أن
أحطمه وهو ينوى ألا يعطينى الفرصة .. علاقة
(من يتمكن من طرد من أولاً ؟) .. لهذا لم
يوجه لى كلاماً واتجه إلى الطبيب الكورى وهمس
ببضع كلمات .. من الواضح أن المريض الذى
نفحصه الآن مصاب بورم فى قاع المخ يضغط
على التصلب البصرى .. وهو ورم يسبب نوعاً

خاصًا من فقدان البصر.. هذه من اللحظات التي
يتداخل فيها عمل طبيب أمراض العيون مع جراح
الأعصاب .. كان الكلام همسًا فلم أسمعه لكنه
طبعًا مجموعة من التوصيات ..

رحت أئندن بصوت مسموع بإحدى أغنيات
(أم كلثوم) الوطنية التي لا يفهمها الكورى طبعًا
« إلى فلسطين طريق واحد .. يمر من فوهة
بندقية .. » (*) ، لكن (ليفى) يفهم العربية جيدًا
كأغلب مواطنيه .. وتظاهر بأنه لا يسمع مشاغبتى
تلك وواصل الكلام .. تحمست أكثر ورحت أقرع
المنضدة على الإيقاع ، وأهز رأسى فى استمتاع :
« يمر من فوهة بندقية .. يمر من فوهة بندقية .. »
نظر لى شذرًا ثم اتصرف ..

سألنى (شنج هاو) معاتبًا :

- « لماذا تغنى بهذا الصوت العالى ؟ كدت
لا أسمع حرفًا مما يقوله الرجل .. »

(*) كلمات (نزار قبلى) ولحن (محمد عبد الوهاب) ..

- « أنا شلب .. ولا بد للشلب من بعض للمرح

كما تعلم .. »

- « إن أشجار السرو لا تنمو ... »

- « أعرف .. أعرف .. صدقتى ! »

مشاغبة بسيطة مهذبة لكنها جعلتني أشعر
بسرور غير عادي ، وواصلت الدندنة بصوت
خفيض ، بينما صوت هدير الجهاز يتعالى تقطعه
أصوات اللقطات المختارة .. وأخيراً أستطيع أن
أرى الورم هناك في قاع المخ ، يتصل بالغدة
النخامية .. يبدو - والله أعلم - أنني صرت قادراً
على قراءة هذه الألفاظ ، وكان التعود قد أحيأ
خلايا ما في عقلي .. خلايا مهمتها فهم الأشعاع
المقطعية وتفسيرها ..

وهكذا رحلت أقصر ما أراه للطبيب الكوري ، الذي
بدأ عليه بعض الرضا ، وهز رأسه مؤمناً على
ما أقول :

- « أنت تتعلم بسرعة .. هذا واضح .. »

- « ربما كنت جاهلاً لكنى لست بطيء التعلم أبداً .. »

ثم سألته بعد دقائق بلهجة عابرة ، كأتنى
لا أهتم بالأمر :

- « ماذا كان الإسرائيلي يقول لك ؟ »

- « كان يطلب بعض المعلومات عن التقنية التى
نستعملها مع هذا المريض .. إنه عائد بعد قليل .. »

وهنا تذكرت أن (ليفى) يعمل وحده فى عبادة
العيون اليوم ، لأن معاونيه ليسا موجودين ،
والأستاذ الأسبقى للعظيم ، (شافيز) ليس موجوداً
هذه الأيام .. إنه فى إجازة فى مسقط رأسه ..
لا أدرى ما الذى ولد الفكرة فى ذهنى ، لكنى كنت
أدريها هناك من زمن ، وفجأة خرجت إلى السطح ..
وصارت تلح على بشكل غير مسبوق ..

هو ذا (ليفى) يعود إلينا .. يتخذ مقعدًا خلف الكورى ، ويلهث من فرط الجهد الذى بذله فى العودة سريعًا .. يريح ذقنه على كتف الكورى ليتأمل الشاشة بشكل أدق .. الكمبيوتر يسترجع الصور السابقة من ذاكرته ، فيشير إلى الشريحة التى تظهر الورم بجلاء .. يسأله (شنج هاو) :

- « متى تقومون بالجراحة ؟ »

- « غالبًا غدا .. إن جراح الأعصاب هو من سيجريها لا نحن .. لكنى أريد أن أكون عليما بكل شيء .. »

هنا وجدت أن الحين قد حان .. أزحت مقعدى للوراء ونهضت ، وإزاء نظرة الكورى المتسائلة قلت :

- « معذرة .. لكنى بحاجة إلى بضع دقائق .. يجب أن أعود مريضًا ما .. »

رفع حاجبيه على الطريقة الكورية التى تعتبر

قهقهة بالنسبة لهم ، وهز رأسه بما معناه أنه
يمكننى الانصراف ، لكن يجب ألا أتأخر ..

- « أحمق ! »

سمعتها من (ليفى) بالعربية إذ أدت ظهري
واتجهت للباب .. وهى تلك الطريقة المألوفة لدى
الشباب نلقى التهنيب ، حين يتكلمون دون أن ينظروا
إليك ، لدرجة أن تحسب أنك واهم وأن هذه السبة
لم تلق أصلاً .. لكننى التفتت للكرة وقفتها له على
الفور ..

- « وغد ! »

فلتها بنفس الطريقة دون أن أنظر للوراء ،
وغلرت الغرفة .. ومشيت عبر ردهات (سافارى)
مقتاضاً بعض الشيء ، لكنى مسرور لأننى رددت
الصفعة فى نفس اللحظة ..

طبعاً كل هذه تصرفات طفولية غير جديرة
بالأطباء .. نوع من حرب الديوك عن بعد ، لكنها

السبيل الوحيد لى كى لا أهشم رأسه وأقضى بقية
حياتى فى سجن كامبيرونى .. وإبنى لعلى ذلك
قدير لو تركت لنفسى العنان ..

ومشيت حتى وصلت إلى مقصدى ..

اللافتة على الباب الموصد تقول إنها (عيادة
أمراض العيون) ..

★ ★ ★

شاعراً بنشوة التواجد وحيداً فى وكر خصمى ،
سررنى أنه لا يوجد عمال ولا ممرضات .. لا يوجد
سوى الفراغ والصمت .. مشيت وحدى لأمل الأجهزة
هنا وهناك .. خارطة (سنيلن) الشهيرة على الحائط ،
برموزها الشبيهة بحدوات الجياد .. مرايا فى كل
مكان .. إلخ ..

توجد أجهزة عرفت بعضها مثل المصباح
الشقى والفليزون ومنظار قاع العين ، بينما عجزت
عن تبين أجهزة أخرى .. بمَ أبداً ؟ إن المكان

مفتوح لى كقلب صديق .. ليس على سوى أن
أبدأ وبعدها ..

واتجهت إلى المصباح الشقى ، وكان موضوعاً
على منضدة تسمح للطبيب والمريض بأن يريحا
نقتهما على جانيه ، ويتقابل وجهاهما ..
لحدهما يحدق فى طبقات عين الآخر .. ليس على
سوى أن أقلب هذه المنضدة الثقيلة ليتشم كل
شيء ..

★ ★ ★

« دكتور (أبراهام ليفى) .. لقد كانت هذه
الأجهزة الثمينة عهدتك .. وكنت تعرف أنه ما من
ممرضة أو عامل فى الغرفة ، وبرغم هذا تركتها
ولم تحكم إغلاقها فى وجه المتسللين » .

سيقول (ليفى) وهو موشك على البكاء :

- « كنت فى قسم الأشعة أشرف على فحص

ورم يا سيدى .. ما جال بذهنى أن هناك من
يهشم هذه الأجهزة .. »

- « لكنه حدث .. وقد تسبب إهمالك فى خسارتنا
تلك الأجهزة الثمينة .. ولو كان هذا منزلك
لاستوثقت بعناية من إغلاق الباب .. لقد كلفت
وحدة (سافارى) الكثير يا دكتور (ليفى) ،
ويبدو أنك لم تترك لنا مناصًا من القرار الوحيد
الممكن أن نتخذه .. »

★ ★ ★

انتهيت من طرد (ليفى) من خيلى ، ثم قررت
أن أبدأ بتنفيذ مشروعى الجميل .. لقد وعدته أنني
سأعاقبه يومًا ، وأنا لم أخلف فى حياتى وعدا
ولا وعيدًا .. المهم أن أنتهى بسرعة قبل أن يراقى
أحد أو ...

أو ...

وهنا شعرت بشيء غريب يعبث هناك فى قشرة

مضى .. الأنا العليا كما يقول علماء النفس ..
للضمير .. تنكرته الآن .. إن عندي واحداً وهو
لا يهدأ أبداً ولا ينوى أن يتركنى على ما يبدو ..

تكلم ضميرى وكان قاطعاً حاداً كالعادة كقاض
لا يرتشى : أنت على خلاف مع الإسرائيلى ، وهو قد
أذى قومك كثيراً .. هذا مفهوم .. لكن ما ذنب
هذه الأجهزة غالية الثمن فى خلافتكما هذا ؟
ما ذنب المرضى البؤساء الذين تنقذ هذه الأجهزة
أبصارهم كل يوم ؟ ما ذنب وحدة (سافارى)
التي تضم أطباء مجتهدين من كل العالم ؟

للأسف يا (علاء) أنت تتحدر فى خصومتك إلى
مستوى طلاب المدارس الابتدائية ، الذين يسكب
الواحد منهم الحبر على كراس زميله فى أثناء
(الفسحة) كي يراه يعاقب .. كنت أحسبك أرقى
من هذا .. كنت أحسبك أذكى من هذا .. كنت
أحسبك أوسع خيالاً من هذا .. وحسب ما أعرفه
عنى ، أنت قابر على تلبيس حيل لكثير جمالا ..
حيل لا تؤذى الآخرين ..

قلت لضميرى فى ضيق : لست واسع الحيلة كما
تظن .. هذه أفضل فكرة تفتق عنها خيالى فى
الفترة الأخيرة .. إلا إذا كنت تفضل أن أدس له
ثعباناً ساماً فى حجرته ، أو أخفى بعض أمبولات
المورفين فى خزانته .. وهى بدورها ليست حيلة
أكثر رقياً ..

قال لى فى خبث (وللمرة الأولى ألقى ضميراً
خبيثاً) : لماذا لا يكون للجزاء من جنس العمل ؟ هذه
قاعدة قيمة معروفة ، ومن الخير أن تعيد تطبيقها ..

الجزاء من جنس العمل ؟ صبراً .. إن الإلهام
يعود لى ، ويبدو أن لدى فكرة لا بأس بها أبداً ..

وهكذا تنازلت - دون أسف كبير - عن فكرة
التخريب ، وبدأ خيالى ينسج لى مأزقاً أكثر جمالاً
ورقياً ..

فقط لحتاج إلى نصف ساعة كي أرتب كل شىء .

★ ★ ★

تأكدت من أن العلبة فى جيبى ، واتجهت إلى
جهاز الهاتف الداخلى ، وطلبت قسم الأشعة ..
نظرت حولى فى حذر كى أتأكد أنه ما من واحد
هناك .. وانتظرت ملهوفاً سماع الجرس ..

أخيراً جاء صوت من يسأل عن المتكلم ، فغيرت
صوتى .. إن بعض الخنف والحشرجة كليلان بتألية
المهمة :

- « أنا د. (إيجار فريدمان) .. هل د. (ليفى)
عندكم ؟ »

ساد الصمت ، وانطلقت من الهاتف مقطوعة
قصيرة من تلك الموسيقى (الصينية) المزعجة ، ثم
جاء صوت (ليفى) الأخنف قليلاً يسأل عما أريد ..

طبعاً لم يكن هناك طبيب بهذا الاسم ، لكن من
الوارد أن يكون .. لهذا كان على استعداد لأن
ينصت ويصدق ، فقلت له بذات الصوت :

- « أنا أتحدث من الغرفة المعقمة (5) .. ثمة مشكلة هنا .. هل لنا أن نطمع فى مجيئك ؟ »
- « هل لى أن أعرف شيئاً عنها ؟ »
فى لهجة خطيرة قلت :

- « سيدى .. لو كنت أعرف كيف أشرح لما اتصلت بك .. إنها تتعلق بالعيون وكفى .. »
بيدو التردد فى صوته قليلاً ، ثم يقول فى تعلل :
- « ليكن .. عشر دقائق وأكون عندك .. »

ووضعت السماعة ، واتجهت إلى الغرفة (5) المذكورة فتأكدت من أن بابها مفتوح ، وأنه - لحسن حظى - ليس هناك عمال ولا ممرضات ولا مرضى .. والحقيقة هى أن هذه الوحدة لم تعمل قط حتى اليوم ، لكن (ليفى) لا يعرف ..

الآن نعد المسرح للجريمة التالية ..

★ ★ ★

٣٣

[م ٣ - سالتارى عدد (١٥) الرجل الذى لم يكن]

٣- إنهم يقولون .. ماذا يقولون ؟

الغرفة المعقمة Gnotobiotic Room فى الأساس
تخص قسم أمراض الدم ، وهى نوع من الغرف
التي يوضع فيها مرضى الفشل النخاعى ،
أو مرضى سرطان الدم الذين تم تدمير نخاع
عظامهم توطئة لزرع نخاع جديد . بمعنى آخر :
يكون هؤلاء المرضى فى حالة اعتدام تام للمناعة ،
ويمكن لعطسة من رضيع قليل الألب أن تقتلهم
كأنك رميتهم بالرصاص .. لهذا تكون هذه الغرف
معقمة بالكامل .. لا ميكروبات فى أرضيتها
ولا هوائها ولا معداتھا ، وفى الوقت ذاته يتم
تطهير جلد المريض وأمتعائه ..

باختصار هذه الغرف هى المكان المقدس الخالى
من الميكروبات الذى حلم به (ابن الهيثم) كثيراً
ولم يجده .. تعرفون طبعا قصته مع الخليفة الذى

أراد أن يبنى مستشفى لكنه لا يعرف أين يبنيتها ،
وكان تجربة العالم العربى العظيم هى أن يعثر قطعاً
من اللحم فى أرجاء المدينة ، وانتظر يوماً .. ثم
تفقد قطع اللحم .. المكان الذى لم تتعفن فيه قطع
اللحم صار هو المكان الأنسب للمستشفى .. إن
(ابن الهيثم) لم يكن يعرف الميكروبات ، لكنه
بذكائه الحاد أدرك أن المكان الذى يظل فيه اللحم
سليماً هو المكان الأصح للمرضى .. ولم تكن
طبيعاً نامل أن يعثر على مكان خال من
الميكروبات لأن هذا - ببساطة - مستحيل ، لكنه
استطاع أن يقلل الضرر إلى أقصى حد !

استطاعت وحدة (سافرى) أن تحصل على ست
غرف من هذا الطراز ، لكن إجراءات التعقيم لم
تبدأ بعد .. ولم يجربها أى مريض حتى الآن ..
إلا أن شرحاً تعليمياً قد قُدم لصغار الأطباء وأنا
منهم ، وبالطبع لا يعرف (ليفى) أى شىء عن
هذا الشرح بحكم عدم الاختصاص . إن الغرفة

للواحدة تكلف مبلغاً مخيفاً من المال ، خاصة
بالنسبة لنظام عزل الهواء والمراحل المختلفة التي
يمر بها طاقم التمريض حتى يلقى المريض ..
وهو مشهد لا بد أن يذكر بك قصة (سلالة
أندروميدا) - (كريشتون) لو كنت قرأتها (*) .

انتظرت بعيداً حتى رأيت للسيد (ليفى) قائماً ،
بهزول وقد فتح معطفه كأنما يمثل دور طبيب مهم
فى فيلم سينمائى .. وكان المقبض مغلقاً لكنه غير
موصد ، فعالجه ودخل ، وبالطبع أغلقه وراءه ..
وهو بهذا أحقق بالطبع لأن هذه المقابض لا تفتح
من الداخل .. بل هى تعتمد على عملية إلكترونية
معقدة لا تتم إلا حين ينغلق بابان على المريض .
والحقيقة هى أن (ليفى) صار الآن فى غرفة
معزولة بين بابين موصدين .. غرفة طولها متران
وعرضها متر واحد ، وعليه - لو كانت الأجهزة
تعمل جيداً - أن يمر بالمرحلة الأولى من التعقيم ،
قبل أن ينفتح الباب الأول ..

(*) قمنا بها فى راويك عالمية للجيب رقم (15) .. وهى من أهم
راويك الخيال العلمى لهذا القرن .



انتظرت بعيدا حتى رأيت السيد (ليفي) قادما ،
يهزول وقد فتح معطفه كأنما يمثل دور طبيب ..

صبرت بلمى فى براءة ، وابتعدت عن المشهد ..
لن يمر وقت طويل حتى يدوى الكثير من الصراخ
والعويل ، ولا أحب أن يراتى أحد هنا حين يحدث
هذا ..

★ ★ ★

بعد ما أنهيت عملى جلست أتناول الغداء مع
(برنات) فى الكافتيريا ..

قلت وهى تتأملنى فى فضول :

- « هل سمعت ما حدث لـ (أبراهام) اليوم ؟ »

- « هل لدينا (أبراهام) هنا ؟ »

- « هلم يا (علاء) ولا تتذاك على .. أتحدث

عن (أبراهام ليفى) .. منافسك اللدود » .

قلت فى كبرياء :

- « ليس لى منافسون .. أنا لختارهم بنفسى ..

ولكن ماذا حدث له ؟ »

حكى لى ما لم أكن أعلمه ، وهو أن السيد
(ليفى) قد دخل إلى غرفة التعقيم ، ولم يستطع
مغادرتها .. فسألته فى حيرة :

- « تعين الـ Gnotobiotic Room »

- « طبعا .. عم تحسبنى أتكلم ؟ »

وواصلت قصتها المثيرة التى تتلخص فى أن
(ليفى) حاول الخروج مراراً وبقي الباب والجدران ،
وحتى تلك اللحظة ظل متمالكا أعصابه .. سيمر
أحدهم حتماً بعد دقائق ويفتح له .. ثم سمع أزيز
الذباب ..

- « ذباب ؟؟؟ »

نعم .. ذباب .. ذباب غريب المنظر وجدده بطير
فوقه وأمامه ومن حوله فى ذلك المكان المغلق ،
ونظر البائس - ما زلنا مع (برنالت) - إلى الجدار
فوجد عبارة تقول : « هذا ذباب (تسمى تسمى)
أيها التعص ! »

هنا أصابته هستيريا فظيعة .. إن ما يعرفه عن
نهاب (تسي تسي) ليس دقيقاً لكنه مخيف بما
يكفى .. راح يصرخ ويركل الجدران ويعوى كالنئاب ..
ثم فعل الشيء الذى كان سيفعله أى واحد آخر ..
نزع حذاءه ووجه عدة ضربات قوية إلى النفذة
الزجاجية ، ولم تفلح هذه .. من ثم بحث حوله
ليجد عتلة حديدية لا يدرى أحد من وضعها هنا ،
من ثم التقطها وهوى على الزجاج بهشمة ..
الزجاج الثمين الذى كلف الوحدة الكثير .. ومع
الزجاج تهشمت أشياء كثيرة ، ثم واصل محاولاته
وهشم أجزاء من الباب .. كل هذا والنهاب لا يكف
عن الأريز حوله محاولاً النيل منه ..

لم يفلح سوى فى إحداث ضجة هائلة ، وفى
النهاية جاء من سمع الصخب وأنقذه .. كان منهلاً
تعلماً غارقاً فى العرق ، وراح يردد دون انقطاع :
« سوف أقتله ! سوف أقتله ! »

سألت (برنات) فى براءة :

- « يقتل من ؟ »

- « لا أدري .. وإن كان شىء ما مكتوف يلوح فى هذه القصة .. ألا ترى هذا معنى ؟ يخيل إلى أنك تعرف من الذى يريد (ليفى) قتله ... »

- « ليست لدى أننى فكرة .. أكملنى القصة .. »

ابتلعت آخر قطعة فى طبقها وقالت :

- « لا شىء بعد هذا إلا أن النيب الذى وجدوه لم يكن (تسى تسى) بل نيباً منزلياً علياً بريئاً .. و (باركر) مصرّ على أن الفتى تصرف بجهل وحمافة ، وكلفنا الكثير .. كان بإمكانه أن يتماسك أكثر وينتظر أول عابر سبيل ينقذه .. »

- « وهل من صميم عمل (ليفى) أن يعرف الفوارق الدقيقة بين ذبابة وأخرى ؟ »

- « قل هذا (باركر) ولا تقله لى .. إنه

مصمم على أن أى طبيب فى (سافارى) يجب أن
يكون خبيراً فى الذهب .. وهم الآن يبحثون لاحتلالى
فصل (ليفى) من الوحدة أو إرغامه على دفع
تكاليف الخسائر .. »

بدأت على حسرة حقيقية .. من الممكن أن يقع
أى منا فى هذا الموقف .. إن الذهب يتشابه على
كل حال .. هنا قالت (برنات) فى خبث :

- « بالطبع اتجهت كل أصابع الاتهام إلى شخص
واحد هنا .. شخص اتهم (ليفى) من قبل بالخل
نهاب (تسمى تسمى) إلى مصر .. »

قلت فى جزع كمن سمع هرطقة مخيفة :

- « إننى أطلب برفع البصمات .. أطلب بمضاهاة
خطى بالخط المكتوب على الجدار .. »

عقدت ساعديها وأصدرت فهقهة قصيرة وقلت :

- « لا تكن سخيلاً .. أنت تعرف أن من كتب
الكلمات استعمل يده اليسرى .. »

- « وكيف لي أن أعرف ؟ »

قالت في ثبات وعيناها لا تطارقان وجهي :

- « أنت تغزو وسيمًا حين تتظاهر بالبراءة ..

وفي الحقيقة لا أخفي عليك أنني أعجب بالرجل
الذي يعرف كيف ينتقم .. ينتقم بنظافة وذكاء
دون لكمات ولا (بلطجة) ولا عبارات سباب ..
إن الأمر أقرب إلى دعاية عملية صبيانية قليلاً
لكنها لعبة موفقة ، وقد سددت هدفاً لاشك فيه .. »

ثم نظرت إلى ساعتيها ، وقالت إنها يجب أن تلتحق
بنوبتيها حالاً .. جلست وحدي في الكافتيريا
أفكر .. مر بي طبيب هولندي يحمل علبة من
الشراب ، وبدأ كأنما سر لأنه وجد أحد الحمقى
حين أراد واحداً .. قال لي في ضيق :

- « هل تشرب هذه بدلاً مني ؟ إني لا أشرب
هذه الأشياء وأكره أن أرميها .. »

كانت علبة من الكولا الباردة ، فتناولتها شاكراً

وفتحتها ، وأفرغتها في جرعتين .. حقاً إنها
لمنحشة بعد عناء اليوم .. وجلست وحدى شاعراً
بالكثير من الرضا .. من المفيد دائماً أن يحتفظ
المرء بعلبة بها عشرون ذبابة منزلية حية كما
فعلت أنا أمس .. كنت أتوى استعمالها في الانتقال ،
لكني لم أكن قد حدثت للوسيلة بعد .. و (ليفي) الذي
كنت (على رأسه بطحة) تلقى الرسالة سريعاً ..
ما دام هذا ذباباً وما دام هذا كميناً . فإن نوع الذباب
(تسمى تسي) بلا أدنى شك .. والآن يجب أن
أتماسك وأستجمع قدرتي على (الاستهبال) إلى
أقصى حد .. إن يوماً عصياً من الأسئلة ينتظرني ،
وخاصة حين يدعوني (بارتلييه) إلى مكتبه ..
متى ؟ في السابعة مساءً طبعاً .. ظننت هذا قد
صار مفهوماً لكم الآن ..

سيحاولون كثيراً لكنهم لن يبرهنوا على
شيء .. اعتقد أنني قمت بالجريمة الكاملة
فعلاً ..

لو طردوا (ليفى) فإن انتقامى قد تم ، ويمكن
نسيان هذا الأمر .. أما لو بقى فباتنى لم أنته منه
بعد .. لقد وعته بانتقام يرد فى الأساطير ، ويجعل
عقاب (برومثيوس) و (تيتالوس) نوعاً من
التلذذ (*) .. وأنا أفى بوعدى دائماً ..

★ ★ ★

مازال وقت لا بأس به قبل الساعة .. إن أحداً لم
يطلبنى بعد ، لذا قررت أن أعرج على (بسام)
فى قسم الحروق وأصطحبه إلى صديقنا التونسى
المريض .. لم أره منذ ساعات طويلة ، وإن كنت
أعرف جيداً أنه بخير .. لقد اتصلت بالقسم منذ
ساعتين وعرفت أنه على ما يرام ..

كان (بسام) قد انتهى من مهمته العصبية ،
وبدا مضطرباً بما يليق بالعمل لمدة ثماني ساعات

(★) عقاب (برومثيوس) و (تيتالوس) أمور نحتسا عنها كثيراً ،
وإن كنت نسيتها يمكنك الرجوع إلى كتيبي (لفتنارنا) المربع والثامن ..

فى قسم الحروق ، فمضينا إلى قسم الأمراض
المعدية ..

كان (عنان) فى خير حال جالسا فى الفراش ،
يطلع رواية عربية ما ، وقد بدا على وجهه ابتعاش
ونضارة حسنة عليهما .. فجلسنا على طرف
الفراش ، ورحنا نمزحه واطلقت الدعابات بالعربية
تطرد كل هذا الجو الفرنسى الخلق من حولنا .. كان
يخشى أن نصاب بالعدوى ، لكنى قلت له إن هذه
الأشياء لا تحدث إلا للآخرين فقط .

- « أنت مدعو إلى طبق من (المقرونة بالحبوت)
من تطيبى حين تشفى .. »

هذه كانت من (بسام) طبعا ، و (المقرونة
بالحبوت من تطيبى) معناها (المكرونة بالسماك من
إعدادى) ، وهى كما يقول (أكلة عزيزة بارشا
فى تونس) .. أى إنها أكلة محبوبة جدا هناك ..
لا أعرف من أين ينوى العشور على سمك فى
(سافارى) لكنه بالتأكيد يعرف ما يتكلم عنه ..

- « أنا لا أعرف هل هذه الأكلة جيدة أم لا ،
لكنني واثق أن الثقيلة ستجعلها كابوسًا »

وحكيت لهم - فلا أسرار مع صديقيّ العربيين -
نلك المقلب الذي لعبته لـ (ليفي) فضحكا كثيرا ،
وإن كان (بسام) قد أذرنى :

- « حذار فالفتى لا يسلمح ولا ينسى .. ولتكونن
لدغته القائمة أكثر شراسة .. »

- « أنا كذلك لا أنسى .. وعلى كل حال هناك
احتمال لا بأس به في أن يطرد .. »

قال (أحمد عدنان) وهو يداعب لحيته في
حكمة :

- « مستحيل أن يطردوه .. إنه مهم للوحدة
باعتباره الإسرائيلي الوحيد بها ، وهو يعطيها
صورة يريدونها من عدم التعصب .. خاصة
بالنسبة للأوروبيين والأمريكيين .. ولو طردوه
لأنفتحت عليهم أبواب الجحيم »

قال (بسام) مؤمناً على الكلام :

- « إنه يلعب دور (الفيلسوف) كما تقولون في مصر .. إن (ليفي) سيقى لا شيء إلا لأنه إسرائيلي ، ولو فعلها إنجليزي أو فرنسي لطرده فوراً »

بدا لي المنطق معقولاً فقلت مستسلماً :

- « على كل حال سنكون حزينين .. نحن ثلاثة ضد واحد .. لو جرب شيئاً سنكون له بالمرصاد .. » قال (عدنان) بطريقة الهادئة الرصينة :

- « لن يفعل الآن .. فهو في وضع حساس .. سينتظر حتى تنسى هذه القصة ثم يحاول .. »

وظللنا صامتين بعض الوقت ، حتى جاءت الممرضة الإنجليزية الشرسة تطربنا ، وكان معها حق على كل

حال .. إن زيارة المريض فن له آدابه
و (الإتيكيت) الخاص به .. وقد أرفقتا الفتى
كثيراً ..



وفي السابعة مساءً - طبقاً - دعيت إلى مكتب
(بارتلييه) ، وكان (باركر) هناك للأسف ..
و (بارتلييه) يهاب (باركر) كثيراً برغم أنه يرأسه
إدارياً .. ولهذا السبب يتظاهر بالكثير من الحزم
والغلظة حين يكون مع (باركر) في مكان واحد ..
إنه يوبخك ، ولو تواجد معك وحده لبكى معك أو
ربت على كتفك .. بينى وبينكم تشاجعت حين رأيت
(باركر) هذا جالساً كغراب البين جوار الفرنسى
الطيب ، وابتلعت ريقى .. إن ساعة عصية
لتنظرنى هنا ..

المهم ألا يفلت لساني ، وألا أنكر شيئاً عن
الكتابة باليد اليسرى ، وكل هذه الأخطاء التي
يرتكبونها دون حذر في كل التحقيقات ..

★ ★ ★

٤- أين ؟

دعوني إلى الجلوس فجلست (مزجر الكلب) كما
يقول (بسلام) - وهي الكلمة التي يصرر هو على أنها
ليست إهانة - وقال (بارتلييه) دون أن ينظر لى :

- « د (عبد العظيم) .. بالطبع ستتكر أن لك علاقة
بأى شيء حدث للدكتور (أبراهام ليفى) اليوم .. »

فى بلاهة تساءلت :

- « وهل حدث شيء (للدكتور أبراهام ليفى)
اليوم ؟

- « لم أقل لك ستتكر ؟ دعنى أكن صريحاً معك ..
فى المرة القادمة سوف .. لا .. لن تكون هناك مرة
قادمة لأننى لن أنتظر وقتها أية تحقيقات ، وسوف
أعتبر أى شيء يحدث له مسئوليتك .. إتنا لن

نستطيع إثبات شيء عليك هذه المرة لأنك وغد
محظوظ أو وغد نكى .. لا يهم .. وأنا أفضل تبرئة
مذنب على برىء لم يثبت جرمه بشكل قاطع ..
لكن لتكن كلماتي واضحة جلية .. «

كنت أدافع عن نفسي، ثم وجدت أن هذا سنخف ..
الرجلان يعرفان إلى درجة اليقين أنني المسنول
عما حدث وهو ما يمكن لطفل عمره عامان أن
يستنتجه . لا داعي للإصرار السخيف ..

ساد الصمت هنيهة فسألت في كياسة :

- « هل هذا كل شيء يا سيدى ؟ »

- « حاليًا .. نعم .. »

بهذه البساطة ؟ لقد فاق الأمر أجمل أحلامي ..
نهضت متحاشيًا عيني (باركر) للتأريتين ، وقررت
من المكان ..

الآن حان الوقت كي أعتصم بحجرتي .. لقد
كان يومًا شاقًا علينا بالانفعالات ..

لكنى سعيد .. سعيد بحق ..

★ ★ ★

وفى الصباح اتجهت إلى قسم الأشعة كالعادة ..
سيظل هذا عملى إلى أن يعطب ترس ما فى آلة
(سافارى) ويطلبون منى أن أذهب هناك .. وقد
اعتدت هذا لكن بعض الأقسام كقت تثير مللى أكثر
من غيرها .. الكل هنا يهاب ويشمئز من عنبر
الحروق أو من حالات غنغرينا الغاز .. لكنى كنت
أفضل العمل هناك بالتأكيد على عيادة الأطفال
- لو لم تكن (برنات) فيها - أو المعمل الكريه
حيث تنتظرنى (هيلجا) الشرسة لتؤكد لى الحقيقة
الخالدة التالية : « لقد كنت وكان لصقلى مخطئين
حين حسبونى لابس بى » .. وهى تتمنى طيلة
الوقت لو أسنيت لها خدمة وسقطت ميتا ..

قررت أولاً أن أعرج على (عنان) المريض لعله

بحاجة إلى شيء في هذه الساعة المبكرة من
اليوم .. توجهت إلى قسم الأمراض المعدية وحييت
المرضة الإنجليزية الصارمة الجليلة على
(الكاونتر) في مدخل القسم ، كما هزئت رأسى
للمربية السلوفانية الحسنة والتي تتفقد التذاكر .

- « هل أستطيع أن أخدمك ؟ »

سألتنى الممرضة الإنجليزية بلهجتها الراقية
التي تملأ الفم بحق ، فقلت في مرح :

- « لا شيء .. شكراً .. سألقى نظرة على الفتى
ثم .. »

- « أى فتى ؟ ! »

ضحكت في مزيد من المرح :

- « صديقنا اليمنى .. المصاب بالتهاب رئوى .. »

تبادلت نظرة عبثة بلا معنى مع الطبيبة ، ثم
قالت في سماجة :

- « حقًا لا أرى عم تتحدث أبها الشاب .. لكن
لو كنت تمزح في هذا الوقت المبكر من اليوم .. »
- « معاذ الله أن أمزح .. ماذا دهاكم ؟ »

واتجهت إلى الباب الزجاجي ، وفتحتنه ودلفت
إلى الداخل .. سمعتها تحتج فلم أبال كثيرًا ..

وفي الفراش الذي كان (عنان) يحتله أمس
وجدت رجلًا إفريقيًا في حالة سيئة .. لا أرى بيم
هو مريض ، لكن الخراطيم كانت تخرج وتدخل
من وإلى كل فتحات جسده ، وكان غائبًا عن
الوعي تمامًا ، وجواره سمعت هدير جهاز التنفس
الصناعي المنتظم الرتيب ..

كانت المريضة قد لحقت بي ، منتوية خراب
بيتي ، فسألتها :

- « منذ متى دخل هذا ؟ »

قالت في عصبية ، كأنما بدأت تضيق بي :

- « منذ أسبوع .. إنها ملاريا مخية .. حالة متقدمة منها لو طلبت رأيي »

ودست قبضتها في خصرها وأردفت :

- « تلاحظ أنني لم أعلمك بقطة ، ولم أسلك عن الحق الذي يسمح لك بالتحكم عنبري واستجوابي بعد .. »
رحت أضرب كفا بكف .. يا عالم ! أين ذهب الفتى ؟

ودون كلمة أخرى تركتها ، ورحت أتفقد الأسرة واحداً واحداً .. لا شيء .. هل تحسن فخرج ؟ لكن المرأة المتسلطة تزعم أن هذا المريض هنا منذ أسبوع ..

استدرت لها وعت أقول في صبر :

- « لحظة .. لحظة يا أختاه .. أنه نلك الطبيب اليمنى المهذب .. د (شيلبي) أخذه بنفسه منذ يومين ، وكنا هنا معه عصر أمس حين جئت وطريقتنا .. »

أشرق وجهها الصارم بضحكة النصر :

- « هكذا ترى أنك مخطئ .. أنا لم أكن هنا أمس ..
ولو كنت هنا عصر أمس ، لما كنت للتوبتجية اليوم ..
إن اليوم الـ Shift الخاصة بأمس كانت من نصيب
مس (هيلين شيفر) النيوزيلندية » .

حتى هذه اللحظة كنت موقناً أن هناك سوء فهم ما ..
لقد خرج الفتى في وقت ما بين عصر أمس وصباح
اليوم ، والمرأة لا تعرف .. رفعت كفى مستسلماً
وقلت لها :

- « على الأقل يمكنك أن تراجعى التذاكر من
أجلى .. »

في تحدّ ودون كياسة قالت :

- « لا .. سأفعل هذا إذا طلبه الطبيب المسئول .. »
ونظرت مستغيثاً إلى الطبيبة السلوفاتية الحسنة ،
فتدخلت في الحديث بإتجليزية أبارك الله منها :
- « مشكلة ماذا ؟ مشكلة ماذا يا دكتور .. أنا
أفهم لا شيء »

فى صبر رحت أشرح لها القصة من جديد ..
وكنى أدرك حاجز اللغة كليل بجعلى أبداً مجنوناً
فى نظرها .. وقد كان .. لقد هزت رأسها فى
حيرة ، وقالت :

- « يعنى هنا لا .. طبيب لا موجود .. أسفة ..
سوء فهم يحدث .. »

سوء فهم يحدث ؟ طبيب لا موجود ؟ إنها
معلومات بليغة حقاً .. تنهدت مستسلماً ، ونظرت
شذراً إلى الإنجليزية .. هذه هى مزية أن تكون
امراً .. هذا على الأقل يعفيها من تحطيم أنفها
بقبضات الرجال المتحمسين من أمثالى .. لفتت
مسماعى حول عنقى كحبل المشنقة وغادرت القسم
وأنا أتميز غيظاً ..

آخر ما سمعت للمرأة تقوله بتجليزيتها المنمقة
كان :

- « ولن أسمح لك بتفتيش القسم ثانية إلا بأمر
من رئيس الوحدة شخصياً .. »

★ ★ ★

بالطبع واصلت عملي في قسم الأشعة ، لأن هذه
الأمور من الممكن أن تنتظر .. لكنني كنت أشعر
بسرور لأن (عنان) تحسن .. مادمت لم أجد
جنته مغطاة بملاءة ، فهو قد تحسن وغادر
المكان ، وليس الأمر عسير التصور .. سأنتهي
ساعات العمل ثم أبحث عنه ..

وعندما جاءت الساعة الثانية بعد الظهر ،
اتجهت إلى حيث كان رئيسي الكوري بفحص بعض
الصور التي التقطناها اليوم .. سألته عما إذا كان
يبقى شيئاً ، فقال باسمًا :

- « كنت على شيء من العصبية اليوم ، وهذا ما
أرجو أن تتخلى عنه غداً .. إن (كونفوشيوس)
يقول : النمر لا يثب مرتين .. أما الإنسان فطيه
أن يتحول إلى جنب .. »

بالطبع لم أفهم شيئاً من المثل الذى قاله ، وهو
واحد من مئات الأمثال التى يطرئ بها طيلة
اليوم ، ولمسبب ما تذكرنى بدعائنا السريالية فى
مصر : وحش له شارب قابل وحشاً بلا شارب ..
إلى آخر هذا الكلام العجيب .. فقلت له فى فتور :

- « لن يكون هناك غد »

أنت تفرط فى التشاؤم .. إن الوشق الذى
لا يؤمن بالغد يقع فى فخ الـ »

« نعم .. نعم .. لربت لقول إن هذا هو يومى الأخير
فى قسم الأشعة .. ما لم يطلبوا منى لبقاء أكثر .. »

طلب منى فقط أن أمر بعد يومين لأساعده فى
تنسيق بعض الأشعة المهمة بعدها يطلق سراحى ..
وصافحته فى حرارة .. لقد كان رجلاً طيباً مهنياً
علمنى الكثير ، لكنى متعكر المزاج اليوم حقاً ..

★ ★ ★

واتجهت إلى غرفة (عنان) قرب نهاية الممر
في مسكن الأطباء ، وقرعت الباب .. لا أحد ..
قرعته بمزيد من الفلظة فلم يرد أحد ..

قررت أن أكل لقمة ثم اعتكف في حجرتي ،
فاللوم عطلة لي ، وليس على أن أتوقع عملاً ما
ما لم يستدعوني عبر مكبر الصوت .. نزلت إلى
الكافتيريا ، واتجهت إلى (الكاونتر) لأضع في
صحفتي بعض الخضر المسلوق وشريحة لحم
وبعض الخبز .. ثم ملأت فنجانى بقهوة (سافارى)
الكريهة الشبيهة بماء غسيل الأطباق ، واتجهت
إلى مائدة خاوية أمضغ والوك وأبلغ الأمر الذى
لن يستغرق وقتاً طويلاً كما ترى ..

جاء (فاريا) طبيب الطوارئ الروسى ، فأتخذ
مقعده جوارى ، وهز رأسه محيياً .. وراح يلتهم
ما أمامه فى جوع مفترس .. مشكلة (سافارى)
هى أن الطعام غاية فى السوء ثم هو قليل كذلك !
فلو كان هذا الطعام السيئ أكثر قليلاً فلربما ..

قلت له بالفرنسية طبعًا :

- « هل عاد لكم ؟ »

رفع رأسه في تهذيب ، وخداه منتفخان بطعام
لم يجد الوقت لمضغه ، وتساءل :

- « من ؟ »

- « (أحمد عدنان) .. لقد غادر القسم .. »

مال برأسه أكثر نحوى ، وكرر السؤال :

- « من بالضبط ؟ »

بصوت أعلى وضيق صدر أكثر قلت :

- « (أحمد عدنان) .. الطبيب اليمنى الذى

كان معك حين أصابه المرض .. »

هز رأسه وواصل الطعام مضغًا :

- « لا أعرفه .. »

هنا جن جنونى .. هل أصابهم كلهم لعمري فجأة ؟
- « د (إيليتش) .. أنت كنت تعمل معه ووجدت
أن حالته الصحية لا تسمح بالاستمرار ، وطلبت
طبيباً آخر فى مكبر الصوت .. وواصلت أنا العمل
معك .. هل نسيت بهذه السرعة ؟ »

نظر لى هنيهة ، ثم قال فى حزم :
- « أنا لم أعمل معك فى الطوارئ قط . وما نقوله
لا يقرع أى جرس فى ذاكرتى .. »
- « إذن أجراس ذاكرتك كلها مشروخة .. لقد
كان الحال يوماً عصياً وكنت أنا من أنقذك من
جحيم من المرضى و .. »

قال فى ضيق ونفاد صبر :
- « رأى ببساطة أن الأمر لخطأ عليك .. ومن
الواضح أنك تستعمل لغة لا تناسبنى .. أنت تجيد



نظر لي منيعة ، ثم قال لي في حزم :
.. أنا لم أعمل معك في الطوارئ قط ..

استعمال الفرنسية في الإهانات ولن أستطيع
مجاراةك في هذا .. لهذا اسمح لى .. «
ودون كلمة أخرى حمل طعامه واتجه إلى
مائدة في ركن المكان ..

★ ★ ★

بحثت عن (بسام) حتى وجدته .. كان جالساً
في الاستراحة يشاهد التلفزيون مع أحد الأطباء
الأستراليين ، وقد أمسك بكوب من العصير يجرع
منه جرعات متتابة ..

جلست وقلت له :

- « (بسام) أنا أكاد أجن .. »

- « اطمئن .. أنت مجنون بالفعل ، ولن تجن

أبداً .. إن الميت لا يموت .. »

إنه رائع المزاج ، أما أنا فلو سقطت قطرة

من مزاجي في المحيط الهادي ، لأفسدت الملاحة
والصيد فيه للأبد ..

- « أين ذهب (عدنان) ؟

نظر لى هنيهة محاولاً فهم ما أسأل عنه ، ثم
غمغم فى حيرة :

- « (عدنان) من ؟ »

- « (أحمد عدنان) .. الطبيب الشاب من
(صنعاء) .. هل أصبت بالبله المغولى أخيراً ؟

فكر حيناً ثم جرّع جرعة من العصير ، وعاد
يرمق التلفزيون وقال بلا اكتراث :

- « لا أعرفه .. »

ثم قطب جبينه وقال :

- « لا يوجد إلا عربيان فى هذه الوحدة .. أنا
وأنت .. منذ متى جاء العربى للثلاث ؟ »

نهضت فى حدة كى أغلق التلفزيون غير مهال
بصيحة احتجاج من الطبيب الأسترالى ، ووقفت
أمام الشاشة ، وقلت فى عصبية متوسلة :

- « (بسام) .. أسمع .. لسنا فى الأول من

إبريل ، وليس اليوم عيد ميلادى .. إن الأمر مهم
لى حقاً .. الكل ينكر أن هناك (عدنان) وأنه كان
مريضاً بالتهاب رئوى ، وأن (شيلبى) قد علجه ..
أرجوك لا تمزح .. إن الأمر مهم لى كما أقول »

بنت الجدية على ملامحه ، وهز كتفه هزة من
طراز (ودت - لو - ساعدتك) ثم قال :

- « لو كنت تريد أن أقسم لك على المصحف
فصافى .. أنا لا أعرف ما الذى تتكلم عنه ..
ليست عندى أدنى فكرة .. »

هنا صاح الأسترالى بالإنجليزية ، وهو بطبيعة
الحال لم يفهم حرفاً مما نقول بالعربية :

- « هيه أنت هناك ! يمكنك أن تتجلى بالخارج
كما يحلو لك .. لكن افتح التلفزيون ! »

قلت - (بسام) وقد بدأت أشعر بغثيان غريب :

- « (بسام) .. (بسام) .. ولكن .. دعنا نرحل
من هنا ولنذهب إلى حجرتى .. »

ثم مدت يدي وأعنت تشغيل التلفزيون .. لو كان
هذا الأحمق يستمتع به برامج التلفزيون الكامبروني
(ليس لدينا طبق فضائي ولا كبل هنا) فهذا شأنه ..

وإلى غرفتي مشيت ، ففتحت الباب وأدخلت
(بسام) ، ثم مدت يدي إلى المصحف الموجود
على الكومود جوار رأسي ، وناولته إياه :

- « هلم .. أقسم لي إنك لاتعرف شيئاً عن
الموضوع .. »

في تردد أمسكه ، وللحظة بدا لي أنه لن يقسم
بل سيعترف بالحقيقة .. ثم في اللحظة التالية قال :

- « أقسم بالله العظيم إنني لا أعرف عم تتكلم ..
لاحظ أنني لا أحب أن أجعل المصحف عرضة
لقسمي .. بل لا أحب أن أقسم أصلاً ، لكنني مضطر
الآن لأن حالتك تبدو سيئة هل تراك اقتتعت ؟ »

أسقط في يدي .. رحت أجوب الغرفة كالنمر
الحبيس أو الكلب المسعور لو .. لا أبرى بالضغط

لكنه يجول مثلى الآن .. إنهم يحاولون دفعى
للجنون .. يحاولون ..

ومن جديد حكيت له القصة كلها .. ما عرفته
أنا وما أحسب أن الآخرين عرفوه ، وأردفت :

- « (بسام) .. إن (أحمد عدنان) معنا منذ
زمن .. من قبل أن يحدث ما حدث من هياج
الحيوانات .. ألا تذكر هذا ؟ »

قال فى صدق :

- « نعم لا أنكر .. بالتوقع هذه هى المرة الأولى
التي أسمع فيها هذا الاسم ! »

للمرة الثانية أسقط فى يدي .. هذا كابوس ..
كابوس مريع يأبى أن يترحل .. من المؤكد أن
جرس المنبه سيدق فى أية لحظة الآن .. ولسوف
أضحك كثيرا جدًا .. نعم سأضحك ..

قال لى بلهجة الحريص على مساعدتى :

- « هل تحب أن تسأل (آرثر شيلبي) فتربما .. »
في ضيق قاطعته :

- « هراء .. إذا كنت أنت تتكرر الأمر ، فماذا
بوسعك أن تقول ؟ سيقرب شفتيه السفلى ويحاول
التنكر في وقار ، لكنني لن أستطيع أن أجعله يقسم ..
لن يقبل مبدأ الشك في كلامه .. بالمناسبة .. هل
موضوع (ليفي) وذياب الـ (تسي تسي) حقيقي
أم وهم هو الآخر ؟ »

ابتسم (بسام) في نكاء وقال :

- « أما هذا فحقيقي .. الكل سمع بهذا الموضوع ،
لكن أحدا لم يتهمك صراحة »

تنهت في راحة .. على الأقل هناك جزء حقيقي
في عالم الأوهام الذي أحيا فيه هذا .. يوما ما في
مكان ما يوجد الخلاص ، والإجابة على كل الأسئلة
السديمية التي سلناها فلم نتلق إجابة إلا للصدى ..
يوما ما .. لكنني لست صبوراً إلى هذا الحد للأسف ..

هزرت إصبعي في وجهه منذراً :
- « لو اتضح لي أنها لعبة عملية فاسية
فسوف .. »

فتح ذراعيه في عدم تصديق :
- « (علاء) .. كل هذا القسم ومازلت تشك ؟
أمرك غريب يا أخي .. هلئذا ترغمني على اتخاذ موقف
عدائي ربما أفهم الآخرين الآن حين اتخذوه .. »
- « أنت لا تفهم شيئاً على الإطلاق .. »
وغادرت الغرفة .. تاركاً إياه دون كلمة أخرى
وحيدة ..

★ ★ ★

واتجهت إلى غرفة (آرثر شيلبي) حيث كان
كالعادة جالساً أمام الحاسب الآلي ، ينقب في غابة
الإنترنت الكثيفة .. رفع حاجبيه منتظراً ما سأسأل
عنه فسألته ..

كلا .. لن أكون مملاً وأعيد سرد الموقف ذاته

عشرين مرة .. لقد حدث ما حدث مع (بسام)
بحذافيره و (شيلبي) - ببساطة - ينكر أنني عرضت
عليه أية حالة ، وأن هناك طبيباً في (سافاري)
أصيب بالتهاب رئوي في الفترة الماضية :

- « لو حدث هذا يا بني لاتخذت إجراءات أكثر
حدة حتى لا ينتشر المرض .. ولربما أبلغت
المدير لأن إصابة طبيب بالتهاب رئوي لا يمر
بهذه السهولة .. أنا أعرف على جيداً وأعرف
أسلوبى فى أدائه .. »

ونظر إلى السقف كأنما يتأمل فى صوفية :

- « ب . ص . م . ا . ت ! البصمات .. هل
تعرفها ؟ يجب أن يكون الطبيب كالفنان له بصمة
فى كل حالة يفحصها .. هل تعرف لوحة (متيه)
حين تراها ؟ »

- « لا .. ولا أعرف (متيه) هذا أصلاً »

بدت عليه خيبة الأمل ، وأردف :

- « حسن .. ليكن .. إن لـ (آرثر شيلبي) بصمة
في كل حالة يراها ، وكلامك لا يحمل بصماتي ..
هذا سهل ويمكن لأي طفل أن يتبينه »

فهمت ما يريد قوله لكنني لم ألتفت .. رباه ! إما
لكنني جننت وإما هم يداعبونني مداعبة قاسية ..
مداعبة قاسية حقاً إلى درجة أنها صارت نوعاً
من التعذيب النازي ..

★ ★ ★

واتجهت إلى قسم الحاسب الآلي لأواجه الزنجية
الثرثرة سليطة اللسان (جرتروود) جلست على مقعد
هناك مهموماً .. فقالت لي :

- « ما بالك يا حبوب القلب ؟ تبدو كمن رأى
شبحاً » .

ابتسمت في مرارة ، وقلت :

- « أحاول البرهنة على أنني لم أر واحداً .. »

ثم طلبت منها أن تبحث بين المرضى وبين
الأطباء عن طبيب يعنى اسمه (أحمد عدنان) ..

- « لا أحتاج إلى حسب إلى لأرد عليك .. ليس
لدينا مرضى عرب هنا .. ولا يوجد سوى طبيبين
عربيين هما أنت و د. (بو غطاس) .. »

توسلت إليها في لهجة شبيهة بالبكاء :

- « (جرتود) .. أتوسل إليك أن تتأكدى .. »

راحت تداعب الأزرار ببراعتها التي لا تصدق ،
وهي تغغم :

- « ليكن .. ليكن .. ما كنت أحسب الأمر بهذه
الأهمية لك .. لنر .. (عدنان) .. (عدنان) ..
كيف تكتبونها بحروف لاتينية ؟ »

« A.D.N.A.N »

- « مفهوم .. مفهوم .. ماذا تصبني ؟ فألم أحصل
على شهادتي بالمراسلة .. لنر .. لنر .. كما قلت
لك ليس هناك أى (عدنان) في قاعدة البيانات »

وعلى الشاشة راحت النافذة تتألق ، وقد كتب
عليها بوضوح :

نهاية البحث
السجل غير موجود في قاعدة البيانات

نهضت حائراً مترنحاً كما ينهض ملاكم تلقى لكمة
خطافية من (محمد على كلاى) فى أوج مجده ..
وسألتها بلهجة أقرب إلى البكاء منها إلى الطلب :
- « هل قاعدة البيانات هذه تتضمن أوراق
الاستخدام ؟ »

- « كل شيء يا روى .. كل شيء .. »
واتجهت إلى الباب شاعراً برغبة عارمة فى
اللقاء .. لست من هواة القىء ولا أعرف لماذا
يحبب الناس ، لكنى للمرة الأولى شعرت بالعصارة
تحتشد ثم تتصاعد إلى فمى ..

وقبل أن أتحكم في نفسي أفرغت معدتي على
الأرضية ، وسط صراخها المندمش ، وخرجي
البالغ ..

★ ★ ★

٦ - هل أنا مجنون ؟

فى مكتب المدير :

قلت له وأنا أمسح وجهى بكفى :

- « للمرة الرابعة أقسم لك يا سيدى إبنى عشت
معه ورأيتَه وكلمته .. لم أره وحدى بل كل من
كانوا حولى .. »

لم يرفع (بارتلييه) وجهه نحوى لأنه كان يمسح
بعض الأوراق بتوقيعه ، بينما السكرتيرة تقف
بجواره تشير إلى أماكن التأشيرات ، فقط قال :

- « كنت واهما يا (علاء) .. وهأنذا أقول لك إن
الفتى لم يكن معنا قط .. فهل أخذك أنا الآخر ؟ »

تمنيت أن أقول له إبنى لا أرى أى مافع فى أن
يكون مخلدًا هو الآخر ، وإبنى اعتقد أنهم جميعًا

كذبة آثمون لكن - للأسف - ليس كل ما يتمنى المرء
قوله يمكن أن يقال للرؤساء .. وواصل (بارتلييه)
شرح وجهة نظره التي لن تقتضى :

- « كل الأوهام تبدو حقيقة مقنعة .. لهذا تستطيع
الأوهام أن تجعل ضحاياها يقتلون ويسرقون .. ليست
هناك أوهام مجيدة أو تبدو وكأنها أوهام ،
والأما خدعت أحداً ، أنت تذكر لك الكلام للقيم في
طب النفس عن الفرق بين الوسوس والضلالات ..
الوسوس يعرف المريض أنها وهم ، ويحاول جاهداً
التحرر منها .. أما الضلالات فيصر المريض على
أنها حقيقة ، ويقاتل من أجل البرهنة عليها .. »
قلت في تحد :

- « والضلالات التي يشاركني الآخرون رؤيتها
والتفاعل معها ؟ »

- وهم .. أنت رأيت وهماً وتوهمت أن الآخرين
توهموا الشيء ذاته معك .. »

فى غيظ قلت :

- « ولكن ما الجدوى ؟ وما تنفع هذا الوهم ؟
إن الأوهام ترضى حاجة نفسية ماسة ما .. هناك
من يرى فتاة جميلة تحبه لأنه محروم من
العلاقات العاطفية .. هناك من يرى الشيطان رأى
العين .. هناك من يرى عملاء الـ (كى جى بى)
يراقبونه لأنه أعظم علماء الأرض .. كل هذه
أمور ترضى حاجة نفسية أو تعبر عن خلل
عصابى ما ، ولكن ما الذى يفيد عقلى الباطن
من اختلاق طبيب يمنى مريض ؟ »

- « ربما هى الوحدة .. أنت بحاجة إلى عرب
آخرين من حولك .. »

لم يرق لى هذا التفسير ، ولكنى ابتلعت آرائى ..
المشكلة هى أنني أعرف وعى ولتقى به واعتقد - من
دون منطق علمى يبرر هذا - أنني يوم لجن سأعرف
هذا قبل أى شخص آخر .. لقد كان (عدنان)

معنا منذ زمن لا بأس به ، وقد جلسنا معا ، ومزحنا
معا ، ولو كان كل هذا وهما فما معنى الوهم إنن ؟
إنن لكان الوجود كله حلمًا نحلمه .. لكنى أعرف أن
الواقع هو الواقع .. لا خلط هناك ، ولو أثر فلاسفة
الإغريق للأبد عن كون الحياة غير حقيقة فلن
أصدق - أو أفهم - حرفًا .. لو أن مسمارًا دخل فى
بطن رجل أحدهم أو تغلق الباب على إصبع قدمه ،
لآمن أن هذا الوجود هو الحقيقة المجسدة ..

طلبت الإذن بالانصراف ، فقال لى (بارتلييه)
دون أن ينظر أو يفارق الأوراق :

- « عدنى أن تزور د. (جونستون) غذا ..
لا أعنى بهذا إلا أنك مرهق على ما يبدو .. »

وكنت أعرف أنه سيطلب هذا الطلب .. وسيقول
ذات الكلمات التى تعنى فى الواقع : « أنت فى طريقك
للخيل ، وقد حان وقت سماع كلمة للطب النفسى .. »

★ ★ ★

وكان الطبيب الإنجليزي المهذب جالساً كما عرفته دائماً .. إنه جزء لا يتجزأ من المقعد الذي يجلس عليه ، ويخيل إلى أن رفيفيه قد تحولاً إلى قطعى خشب بدورهما .. دائماً هناك الموسيقى السيمفونية التى تطرد النباب من الغرفة ، والأريكة للفرويدية للعيدة التى يجعلك النوم عليها تصاب بذعر أكثر منك تسترخى .. إنها تبعث فى ذهنك تداعيات من القرايين الوثنية ، وكان هناك من سيشق بطنك بالسيف حالاً .

قال لى فى صبر بعدما سمع قصتى :

- « إن أول نقطة فى العلاج هى أن تؤمن أن (عنان) هذا لم يوجد قط .. هل حقاً تؤمن بهذا ؟ »

- « بالطبع لا .. »

- « وماذا عن كل المحيطين بك ؟ »

- « لرى لكم - مغرة لصراحتى - لو غدا كذابون ،

ويجب جلدكم بالسياط .. »

ابتسم فى حكمة كأنما العلم لا تهزه هذه
الترهات ، وقال :

- « هل تريد أن تؤمن أن (عنان) لم يوجد قط ؟ »

- « أريد أن أرى بعينكم وأسمع بأذنتكم .. ربما
كنتم جميعا مجانين ، لكن اختلفى عنكم سيجعطنى
أنا المجنون .. »

- « هل قرأت (بلد الصيان) التى كتبها (هـ . ج .
ويلز) (*) ؟ »

- « لا .. »

- « فى هذه القصة وجد البطل المبصر نفسه
يعيش فى بلد يزخر بالصيان ، ونتيجة لهذا صار
مختلفا .. مختلفا إلى درجة أنه بدأ يفكر فى
التضحية بعينه كى ينضم للآخرين ، ولا يظل
مختلفا عنهم .. ولكنه فى النهاية أثر الاحتفاظ
بنعمة البصر ، وفر من هذا المجتمع المغلق ضيق
الأنقى إلى الدنيا الواسعة .. »

(*) قمنها فى روايت عالمية للجيب ، الكتيب رقم (17) .

نهضت قليلاً ، ونظرت إليه في عدم فهم :

- « لحظة .. المفترض أن تطالبني بأن أفقد
بصري كي لا أختلف عن الآخرين .. هذا عملك ..
لكنني أراك تؤيدني في احتجاجي .. »

- « أنت لم تخطئ فهمي يا بني .. »

وأغلق الدفتر الذي كان يدون فيه ملاحظاته ،
وقال في تودة

- « لا تبدو لي مضطرب العقل ، ولا أستطيع
اتهامك بأنك واهم .. أنت مبصر من نوع خاص ،
فلا أستطيع مطالبتك بأن تفقأ عينيك .. إن مكانك
يا بني ليس هنا ، ولا أستطيع أن أقدم لك عوناً
من ناحيتي .. »

- « وتفسير ما أراه ؟ »

- « لا أرى » - وأشار إلى رأسه - « لكن الخلل
ليس هنا .. لذهب والبحث عن التفسير في مكان آخر .. »

وثبت من على الأريكة فرحاً وكنت لثمة معتقاً ،
لولا ما أعرفه من تحفظه الإنجليزي الذى يدنو من
ثقل الظل .. هذا واحد استطاع أن يتحدى
(المؤسسة) .. أحضرونى له كي يطهرنى ويعينى إلى
جادة الصواب ، لكنه يرفض ذلك ، وببساطة يخبرنى
أننى قد أكون مصيباً ، وقد يكونون هم العميان ..

شكرته بحرارة .. هذا رجل شجاع .. رجل يقول
الحق مهما بدا سخيلاً ، وغادرت المكان منتشياً ..
أنا لم أجن بعد ..

★ ★ ★

لم أعرف أن الأخبار تنتقل بهذه السرعة فى
(سفلرى) إلا حين قبلت (برنالت) .. كنت خارجة
من المعمل بعدما استشارت (هيلجا) فى بعض
العينات كالعادة ، فلما رأتنى بدا عليها بعض
الحرص .. مدت يدها الرقيقة وأمسكت بمعصمى
تقتلنى بعيداً عن الأسماع ، ثم وقفت وظهرها إلى
الجدار ، وتأملت وجهى فى اهتمام ، وتساءلت :

- « هل أنت بخير ؟ »

- « بالطبع .. لم أكن أفضل قبل اليوم .. »

وإدركت من لهجتها أن الأخبار بلغتها بلا فخر ..
قالت لي في رفق :

- « لا أدري كيف أرتب كلماتي .. لكن دعني
أطلب منك شيئاً واحداً : لاتصر على شيء حتى
لو كنت واثقاً من أنه الصواب .. صدقه لو شئت ..
افترع به في شرك .. كن واثقاً منه .. لكن لا تعنه
أبداً .. ولتذكر أن الاتهام بالجنون أيسر الأشياء
على الناس في هذه الأيام »

وكانت بالطبع تلمح إلى تجربتها الخاصة جداً
مع روى فتلى السفاح الكندي .. التجربة التي
عاشتها بعد جراحة زرع القرنية إياها .. وقتها
قال الجميع إن الطبيبة الكندية الواعدة قد جنت
أخيراً ..

ثم أضافت بلهجة باسمه :

- « أنت تعرف أن كل مصحة عقلية في العالم فيها مريض يعتبر نفسه براد شاى .. لا أحد يعرف سبب رواج هذا المعتقد ولا سر انتشاره الهائل .. ومديرو المصحات العقلية لا يعترضون على أن يكون المريض براد شاى بشرط ألا يضع نفسه على الموقد كلما جاء ضيف للمصحة !

- « وأنت تريد أن أكرم أنني براد شاى ؟! »

- « فقط من أجل مصلحتك .. لن تتصور كم من أفكار بلهاء في أذهان كل منا .. لكن للمجتمع يحتم ألا نعلن عن كل شيء نعتقد .. هذا هو - في رأيي - الفارق الأساسي - ربما الوحيد - بيننا وبين المخابيل .. »

يا لها من كلمات رقيقة تعبر بها (برنات) عن تعاطفها معي . والحق أنني كنت أتخيل كلمات أكثر لطفاً وتصديقاً لي .. براد شاى ؟ ومن قال إن براد الشاى تعص بالضرورة مثلي ؟

قلت لها في فتور :

- « شكرًا .. »

أدركت ما هنالك ، فقالت محاولة تصحيح
ما اتزلقت إليه (قديمًا قالوا إن اللعب هو السبب
في كثرة اتزلاق الألسن) :

- « حاول أن تفهمنى بلا حدة .. لا تكابر ..
أنت تعرف جيدًا أننا لا نخدعك ، وكلنا لم نر
ما رأيت .. هل كلنا برادات شاي أم أن الأسهل أن
تفترض وجود براد واحد ؟ »

- « سافكر في هذا .. »

هنا سمعت من الغرفة المجاورة - غرفة للمراقبة
للطابق - من يقول بالعربية :

- « كف عن هذا يا أحمد يا (عدنان) ! »

★ ★ ★

٧ - لم يتلّash تمامًا ..

استدّرت إلى (برنات) واتّسعت عيناى .. لم أعط نفسى فرصة للفهم ، وهرعت لأرى مصدر الصوت ، بينما هى لم تفهم ما قيل لكنها ميزت حروف الاسم ، وإذا بها تقول فى جزع :

- « (علاء) .. لا تتدفع .. أرجو »

كالإعصار لهّحم الغرفة ، فلا لجد سوى مجموعة من الممرضات الهولنديات .. ثلاث منهن .. وبالطبع كان هناك طبيب تعرفونه جيدًا .. ليس (أحمد عدنان) طبعا ، بل هو طبيب أمراض عيون يدعى (ليفى) .. (أبراهام ليفى) ..

كان شبه مستند إلى المنضدة وقد أراح ردفه عليها ، وفى يده كوب ورقى من القهوة ، ومن الواضح أنه كان يمضى وقتًا طويلاً حين نخلت .. يبدو



كالإعصار أفتحم الغرفة ، فلا أجد سوى مجموعة
من المرضات الهولنديات ..

أنه سمع صوتى بالخارج وقرر أن يسلى (البنات)
بهذه المزحة .. « أراهنك أن هذا المصرى المخبول
سيقتحم الغرفة الآن وعلى وجهه أغبى نظرة فى
التاريخ » .. ورأيت ممرضتين تحاولان جاهلتين
كتم الضحكات ، بينما الثالثة أدارت وجهها للجدار
وراحت تسعل كي تخفى ضحكتها ..

هذه إذن جلسة شديدة الإمتاع و(الروقان) ..
والمهرج هو خادمكم المتواضع المعترف بالعجز
والتقصير .. (علاء عبد العظيم) ..

نظرت لهم شذراً، وفلت :

- « من الذى كان يتكلم بالعربية ؟ »

وهو سؤال سخيف طبعا ، لأن الصوت صوت
رجل طبعا .. إن اللهجة العربية الخنفاء المسروقة
- كأي شيء آخر - من الفلسطينيين لا تترك مجالا
للشك ، حتى لو افترضنا أن إحدى الممرضات
تجيد العربية وتتعاطى هرمونات الذكورة ..

قال (ليفى) فى برود دون أن ينظر لى ، ودون
أن يغير من جلسته النصفية هذه :

- « هل تعانى من مشكلة ما ؟ لم يتحدث أحد
بالعربية هنا .. »

نظرت له مقلظاً ، وقلت فى لهجة أريتها مهينة
لكنها خرجت نائرة :

- « ماذا تفعل هنا ؟ ألم تطرد بعد ؟

- « لسوء حظك .. لا .. هل سعادتكم تملكون
أسباباً قوية لطردى ؟ »

كان الاستمتاع المتوحش يكاد يثب من عيون
المرضات .. ولولا صرامة القواتين هنا لأخرجت
كل واحدة منهن كيساً من الفيشال لتسلى بمشاهدة
هذا الفيلم الممتع ..

- « سمعت أنك تخرف بسبب النيب المنزلى .. »

- « وأنا سمعت أنك تخرف بصدد أشخاص
لا وجود لهم .. »

ثم التفت إلى الفتيات ، وسألهن بلهجة تمثيلية
ساخرة :

- « هل سمعن من يتكلم العربية هنا يا بنات ؟ »

كانت إحداهن تلوك اللان ، فأخرجت فقاعة
كبيرة من فمها وفجرتها لتلوث ما حول شفيتها ،
وقالت :

- « لا .. لا .. »

وضعت (برنات) كفها على كتفى ، ونظرت
لهذه العصابة في تقزز ، وقالت :

- « يكفى هذا يا (علاء) .. لنرحل .. »

نرحل ؟ إن الرحيل الآن يشبه أن توشك على
العطس ثم لا تفعل .. لا بد من أن أخرج ما لدى
من عنف بشكل يرضيني شخصياً .. لكنى لم أجد
حلاً سريعاً ، فهزّزت إصبعي منذراً في وجهه ،
وقلت بالعربية :

- « صبراً أيها المهرج .. أنا لا أتوى أن أضربك
هنا أمام هاته الحمقات ، لكنى أتحدّك .. سننتقل
خارج الوحدة ونصفي الموضوع رجلاً لرجل ..
أعدك أننا سنمضي وقتاً ممتعاً »

في اشمزاز قال بالفرنسية ليشهد الجميع :

- « أنا لا أعتبرك خصماً .. ثم إن طرق البلطجة
هذه لا تليقنني .. نحن متحضرون هنا يا سيدي .. »

- « سأكون متحضراً حين ألثم كرتي عينيك ..
أعدك أنني سأستعمل الملاعة ولن ألوث قميصي »

فكتها بالعربية ، واستدرت مع (برنات) لتغلغل
المكان .. استدارت (برنات) وهمست بشيء ما
على سبيل اللوم للموجودين ، فجوابتها إحدى
الفتيات بضحكة رفيعة طويلة (مصهللة) ، كانت
أسوأ لي من صفة على قفاي ..

لو كان (باركر) هنا لفصلهن جميعاً دون
استئناف .. فهذا السلوك لا يسمح به في

(سافارى) ، لكنهم أجادوا اللعبة ، بعيداً عن أى
شهود من الإدارة .. « هذه ضربة .. ضربة
محسوسة حقاً » كما يقول الأخ (شكسبير) ..

قالت لى (برنات) وهى تلحق بى لاهثة :

- « ما لزوم هذا الموقف ؟ كنت مزحة سخيفة
وكفى .. أنت تفعل بالضبط كل ما حذرتك منه ،
وتترك اطباعاً سيئاً عن حالتك العقلية .. »

قلت دون أن أنظر للوراء .. فقط أسمع لهاث
أنفاسها من خلفى :

- « ما كان بوسعى أن أرقص طرباً ابتهاجاً
بدعابته .. »

ثم سألتها :

- « لماذا لم يطرَبوا هذا المخرف بعد ؟ »

- « لن يفعلوا .. لربما يخصمون منه ثمن
التلفيات أو لا يفعلون .. إن الأمر موضع أخذ
وجنب بعد .. »

وتذكرت موقفًا سابقًا قيلت فيه كلمات مشابهة :

- « مستحيل أن يطردوه .. إنه مهم للوحدة
باعتباره الإسرائيلي الوحيد بها ، وهو يعطيها صورة
يريدونها من عدم التعصب .. خاصة بالنسبة
للأوروبيين والأمريكيين .. ولو طردوه لانتفتحت
عليهم أبواب الجحيم .. »

★ ★ ★

تهدت فعادت تسألني لاهثة :

- « وهل ستواجهه حقًا كما فهمت من كلامه ؟ »

- « فقط حين لا يكون هناك شهود .. لولا الشهود
من حولنا لمزقته بأسناني الآن .. »

كانت قد تعبت من الركض ، فتوقفت وصاحت
بينما المسافة بيننا تتسع :

- « كما تشاء .. ولكني أحذرك من مغبة
اندفاعك »

وهنا أخذت أول منحني في العمر مبتعدًا عنها
تمامًا ..

★ ★ ★

« الخلل ليس هنا .. اذهب وابحث عن التفسير
في مكان آخر .. »

★ ★ ★

- « حسن .. ليكن .. إن - (آرثر شيلبي)
بصمة في كل حالة يراها ، وكلامك لا يحمل
بصمتي .. هذا سهل ويمكن لأي طفل أن يتبينه »

★ ★ ★

« لو كنت تريد أن أقسم لك على المصحف
فسأقول .. أنا لأعرف ما الذي تتكلم عنه ..
ليست عندي أدنى فكرة .. »

★ ★ ★

وفي الصباح توجهت - للأسف - إلى المصل لأعلن
(هيلجا) الألمانية المفترسة في المصل .. كلن كل
هذه المصائب لا تكفيني ..

قابلتني على الباب ولقافة التبغ المعهودة في

يدها - لماذا لا يطردونها لأنها تكخن ؟ - وكانت
تدس يدها في جيبها وتتأملنى من فوق لتحت فى
استمتاع ، ثم قالت :

- « حسن .. حسن .. حسن .. حسن .. إن
لم يكن هذا مساعدى الحبوب .. كم الوقت معك
يا فتى ؟

- « الثامنة والنصف .. »

- « وخمس دقائق .. أنا أمقت عم الدقة فى
المواعيد .. »

ثم اتحنت وأشارت بيدها بحركة مسرحية ،
تدعونى إلى الدخول .. حذار يا مدام حذار .. أنا اليوم
قصير الفتيل قابل للانفجار ، وما تفعلينه يذكرنى
بطفل غافل يتحسس زناد قنبلة هيدروجينية ،
لو كان للقنبلة الهيدروجينية زناد ..

فتحت الحضانة ، وأشارت لى إلى مجموعة
المزارع الموجودة هناك فى لطباق (بترى) لولاهيب

الاختبار ، وقالت لى إن هذا عملى اليوم .. فحص
المزارع تحت المجهر ، والتخلص من السلب منها ،
وتصنيفها .. هذا عمل يمكن أن يقوم به فنى
- ولسوف يؤديه خيراً منى - لكن مصطلح (طبيب
تحت التدريب) معناه أنه على أن أفعل أى شىء ،
ولا أفتح فى لحظة ..

جلست أجرى تلك الاختبارات للكنية .. الصبغ ..
وضع طرف السلك فى اللهب .. الفحص المجهرى ..
قراءة أقراص الحساسية لأرى أى مضاد حيوى كان
الأكثر فتكاً .. تدوين النتائج فى الدفاتر .. حذار
من الخطأ .. خطأ القراءة وخطأ الممارسة ..
الأول يؤدى إلى عقابى ، والثانى يؤدى إلى مرضى ،
خاصة وبعض هذه العينات - كالدرن والالتهاب
المحائى - خطيرة حقاً إن لم تكن مميتة ..

وعند الظهر جلست أكتب نتائج المزارع ، كل
نتيجة فى النموذج الخالص بها والذي ترسله الأقسام
فارغاً ، إلا من اسم المريض والرقم الكودى الخالص
بالحسب الآلى ..

هذه العينة تمثل التهاباً رئوياً سببته البكتريا
العقدية المكورة .. إنها ذات البكتريا التى تسبب
تسمم الدم وحمى النفاس والحمى الروماتيزمية
والتهاب اللوزتين .. لا بأس .. إنها حساسة لعدد
لا بأس به من المضادات الحيوية أولها البنسلين
العجوز الطيب ، صديق الأطباء المخلص الذى
أهداه (فليمنج) للبشرية عام 1928 ومن يومها
لم يخذلنا إلا قليلاً ..

من أين جاءت هذه العينة ؟ آه .. جاءت من قسم
الطوارئ منذ ثلاثة أيام .. ما اسم المريض ؟

وهنا تصلبت شعيرات رأسى وتحفزت حواسى ،
ووقفت كالمسوع اقرأ اسم المريض .. أقرؤه
سبع مرات قبل أن أدرك أننى حقاً أقرؤه ، وأن
عينى لا تخدعنى لأننى أحتاج إلى الخداع ..

(أحمد عدنان) ! قسم الطوارئ .. منذ ثلاثة
أيام .. التهاب رئوى ..

(أحمد عدنان) ! قسم الطوارئ .. منذ ثلاثة
أيام ..

(أحمد عدنان) ! قسم الطوارئ

(أحمد عدنان) !

(أحمد ..

أنا لا أحلم

★ ★ ★

غادرت المعمل غير مبالي بالاحتجاجها ، ويبدو على
كل حال أنها فهمت أنني أريد الذهاب للحمام .. إن
المثقة والقولون لا يخضعان للأوامر على كل حال ..

كالمجنون رحت أركض عبر طرققت (سفاري)
متجهاً إلى قسم الأشعة ، وكان (شنج هلو - شينج)
جالساً هناك مع طبيب كندى شلب ، يبدأ رحلة للتعايسة
من بعدى .. فلما رأني - الكورى - ارتفع حاجباه
مفهمها . وقال فى تودة :

- « آها ! أنت تبر بوعودك سريعاً ، والوعود
لا تثمر إلا فى تربة أنضجتها السنون وجففت .. »

- « مفهوم .. مفهوم .. كنت أريد أن أعاونك
في تنسيق الأشعات كما اتفقنا .. »

نهض مثاقلاً واتجه إلى خزنة زجلجية وأخرج
مجموعة من الأشعات العادية .. رزمة سميكة
بحق .. وترنح وهو يحملها ليضعها على المنضدة ،
ثم ابتسم في ثقة وقال لي :

- « هذه هي الدفعة الأولى .. وسأجلب لك
الباقى »

هل هناك باقى ؟ تباً ! حين جئت هنا لم أكن
أعرف أنني أفتحم عرين الأسد ، وليستغرق هذا
العمل اليوم بطوله ولا يترك لى وقتاً للراحة أو
الاستجمام أو حتى العودة إلى المعمل ..

وجلست أُنسق الأشعات حسب نوعها وأؤكد أن
التقرير كلها مكتوبة .. كنت مشكلة هذه الأشعات أن
الأقسام التى طلبتها لم تستردها ولم تطالب بها ،
ومعنى هذا أن المريض قد توفاه الله ، أو أنه
خرج ، أو أن الممرضة بلهاء لاتعى ما تفعله ..

كنت بالطبع أبحث عن اسم واحد .. اسم يبرر كل
هذه المعاناة التي لم يكن لها داع .. وبعد عناء
وجدته في أشعة صدر عادية (خلفي أمامي) كما
نكتب في التذكار .. والسبب هو أنها تلتقط من الخلف
حتى لا يتضخم ظل القلب على فيلم الأشعة ،
ويعطى انطباعاً زائفاً ..

(أحمد عدنان) ! قسم الطوارئ .. منذ ثلاثة
أيام .. التهاب رئوي ..

مرة أخرى !!! مرة أخرى !!

والأشعة تظهر بوضوح رنتي الفتي ، وأول نذر
ذلك التصلب القصي الذي بدأ يتكون في رئتيه
وقتها .. بل إن ظل السلسلة واضح .. السلسلة
التي كان يعلقها حول رقبتة دائماً ، والتي لم يجد
فني الأشعة ضرورة لأن يطلب منه نزعها ..

وتحسست جيبي في شفتي .. هناك وضعت طبق
(بترى) الذي يحوى مزرعة بصاق الفتي ، وعليه

رقم الكمبيوتر الخاص به .. ومعه طلب التحليل الذي
أرسله القسم ، وببذ حذرة خبيثة دستت تقرير
الأسعة والطلب المرفق به فى جيب معطفى .. إن
معى الآن أدلة ثمينة جداً كلها تثبت أننى لم أكن
أحلم ..

★ ★ ★

٨ - دعه يتكلم .. دعه يثرثر !

وعندما انتهيت من مهمتى غادرت المكان ،
وقررت ألا أعود إلى (هيلجا) .. لقد تأخرت
كثيراً جداً عليها ، وفى الغالب لن تكون هناك ..
على الأرجح غادرت المعمل أو ماتت وقد تحللت
جثتها تماماً الآن لحسن حظى ..

كنت بحاجة إلى أن أخلو لنفسى ولرتب أفكرى ..

الفكرة الأولى واضحة تماماً : لو كنت هناك مؤامرة ،
فلجميع - بلا استثناء - متآمرون .. لا تخبر أحداً
بشيء ولا تعن شكووك .. إن من قام بإخفاء أى
أثر لـ (عنان) قد نسى فى بحثه المحموم بعض
الآثار ، ولو عرف بأمرها فلسوف يعمل على إزالتها
سريعا ، وبالتالي لا يعود لديك دليل على ما تقول ،
وبيصير (عنان) كأن لم يكن ..

لماذا يتورط (بسام) فى هذه القصة ؟ لا أرى ..
لكنه متورط وعليك أن تعمل وتتصرف على هذا
الأساس ..

**الفكرة الثانية أكثر وضوحاً : ثمة شيء ما قدّر
يدور هاهنا ..**

**الفكرة الثالثة منطقية : كل شيء بدأ بعد اصطدامى
بـ (ليفى) وموضوع الذئب إياه .. أوشك أن أرى
خيوط انتقامه منى ، ولكن كيف ؟ وبأية قدرات
سحرية جعل كل الوحدة تنضم إليه ؟ ما اللعبة
التي لعبها بصدد ملفات الحاسب الآلى والتذاكر
وخلاف ذلك ؟ ولو كان قلراً على هذا - وهو ليس
كذلك - فما سلطته على (آرثر شيلبي) والطبيب
الروسى و (بسام) بل ومدير الوحدة ذاته ؟**

**يجب أن يتكلم (ليفى) .. وفى هذه المرة يجب
أن أتصرف وحدى ..**

★ ★ ★

فى الثامنة مساءً يمارس (لىفى) هولة غربية
بعض الشىء .. إنه من هؤلاء الأشخاص الذين
يحبون قضاء الأمسيات مع الكلاب .. والسبب هو
أنه يعمل فى بحث علمى عن تأثيرات فيروس السعار
على العصب البصرى ، وبالطبع يحتاج بحث هكذا
إلى حيوانات تجارب لأنه من العسير إقناع إنسان
بالإصابة بالسعار ، مهما كان متحمساً للبحث
العلمى .. والكلاب ليست لها حقوق مدنية على
كل حال كما يقول الفيلسوف (جورج ميد) ..

يتجه (لىفى) إلى مختبر الحيوانات ، وهو موجود
خلف الوحدة فى مكان يشبه المرآب ، وبالطبع له
رائحة خائفة مميزة جداً .. رائحة من الطراز
الذى لا تشمه إلا فى حديقة الحيوان فى قفص
الأسود .. هنا تجد قتران تجارب .. قروء تجارب ..
كلاب تجارب .. خنازير غينيا تجارب .. أطباء
تجارب ..

يضىء المصباح الخافت ، لكن المكان يظل برغم

هذا يعج بالظلال المخيفة .. يتجه عبر الأقفاص المتلاصقة نحو مجموعته المختارة من الكلاب ، وهي مجموعة مقضى عليها بالموت .. كلها لا يكل ولا يشرب منذ أيام ، وليس فى وسع كائن ارضى أن ينقذها الآن لأن داء الكلب - بكسر اللام - لا علاج له .. بعضها ينبج فى اتجاه (ليفى) وثمة فرد يحاول أن يمسك به من بين القضبان .. ما إن يظهر مخلوق بشرى هنا حتى يتحول المكان إلى جحيم ، وقد جربت أنا هذا من دقائق ، لكن المكان لحسن الحظ بعيد عن الأسماع ..

ها هو ذا يلبس الكمامة على وجهه .. إن لعب هذه الكلاب خطر داهم .. يتقدم إلى مجموعة أقفاص الكلاب ، ويمكنك أن تعرفها بسهولة من عيونها المضمدة لأن أكثرها مرّ بجراحات استئصال أو زرع قرنية سابقة .. كلها تعوى وتضطرم بالقضبان والزبد يتناثر من أفواهها ، لكنه يعرف جيداً ما يفعله .. لقد انتهت أيام (باستير) من

زمن بعيد ، حين كان مساعده الجسور (Roux رو) يقرب فمه من فم الكلب المسعور ، ليولج أنبوباً تحت لسانه ، يمتص به اللعاب القاتل (لاحظ أن مرض الكلب وقتها لم يكن له حتى اللقاح الذى نعرفه اليوم) .. أما اليوم فالأمر يختلف .. طلقة Dart من المخدر على الكلب المختار ، فيرتجف هذا ثم يسقط على أرض القفص .. بعدها يفتح القفص ، ويخرج الجسد ، ويجرى الفحوص اللازمة أو ينقله إلى غرفة الجراحة المعقمة المجاورة ، التى يقوم فيها مع طبيب التخدير الليباتى (إشيهارا) ومساعده الأمريكى ، بإجراء ما يريد من جراحات على القرنية ..

ينو من الكلب المختار الذى راح يكشر عن أنيابه فى جشع منذراً بالويل .. يحسن التصويب و...

كرانك

كلا ليس هذا هو صوت الطلقة ، فلا يوجد

مسدس يحدث هذا الصوت .. إنه صوت الباب
الحديدى العماق الشبيه بأبواب السجون ، والذي
يفصل هذا الجزء عن باقى المعمل .. لقد أغلقه
أحدهم ، واستدار (ليفى) ليجدنى أضغ الجنزير
وأثبت القفل ...

- « ماذا تفعل أيها المخبول ؟ »

- « أسجنك هنا .. ظننت هذا واضحا .. »

- « و .. و .. لماذا ؟ »

كان يتوقع الأسوأ وقد منحه له عن طيب
خاطر .. حتى هذه اللحظة لا يوجد كمين ، لكن
بالتأكيد هناك واحد .. بحث بعينه عن الشرك
فوجده دون جهد ..

كان هناك قصص بلبه موارب ، والكلب المسعور
الذى بداخله يرتجف شغفاً وتوحشاً .. لا شيء
يبقيه فى مكانه إلا حبل طويل من البلاستيك ،
يبدو أنه يلتف حول عنق الكلب ثم يمتد عبر

القضبان إلى خارج الزنزانة .. إلى يدي الممسكة
به في حزم ..

قلت له في هدوء وسماجة :

- « كما ترى .. القفص مفتوح .. وأنا أملك
الوحيد في إبقاء هذا الكلب المفترس داخل قفصه ..
ولقد تجشمت كثير عناء كي أدخل هذه الأنشودة
عبر القفص وألفها حول عنق الكلب الأكثر حملًا ..
ثم أثبت الحبل بالخارج إلى أن أفتح القفص له ..
صدقني إنه غاضب مجنون ، وصدقني إنه متلهف
كي يبدأ ، وصدقني إنه سيريك مدى امتنانه للجراحات
التي تجريها على عينيه دون موافقته .. »

وتحسست الحبل في يدي :

- « إنني أرتجف هلعًا لفكرة أن أموت الآن
أو أفقد وعيي ، وبعدها تجد نفسك وحدك مع هذا
الشيطان .. ودعني أذكرك أن مرض الكلب
لا علاج له ، وأن الوقاية منه تفشل أحيانًا إذا
كان حجم الجروح كبيرًا .. »

لم يكن في حلة إلى تذكر هذا .. فقط نقل عينيه
من الكلب الذي لا يبقيه في قفصه إلا حبل طويل ،
إلى الحبل ذاته ثم إلى يدي .. وفي كراهية قال :
- « أنت وحش مريض .. لقد فعلت هذا من
قبل مع (دافنبورت) .. ألن تكف عن هذه
الألعاب العسادية ؟ »

- « في الحرب والحب يجوز كل شيء .. »
كان المسدس في يده ، وبيد مترددة رفعه
نحوى وهو يضغط على شفتيه ، فصحت :
- « لا .. لا .. أتصحك ألا تفعل .. سأنام أنا نصف
ساعة بينما تفرح أنت مع الكلب وحدكما .. »
كان نباح الكلب يتعالى ، مما جعل الأمر أقرب
إلى الكابوس .. وأدرك كذلك - إنه ذكى بلا شك -
أن الاستغاثة لا جدوى منها على الإطلاق .. لن
يسمعه أحد وسط هذه الغابة الصاخبة ..



كان المسدس في يده ، وبيد مترددة رفعه نحوى
وهو يضغط على شفتيه ..

(٨٢ - سافارى عدد (١٥) الرجل الذى لم يكن)

صاح محاولاً أن يتغلب على نباح الكلاب (نسيت
أن أقول إننا كنا نتكلم الإنجليزية ، كي يكون الفهم
تاماً) :

- « ما الذى تريده ؟ »

- « كالعادة .. أريد اعترافاً بما حدث لى .. »

- « وما الذى حدث لك ؟ »

قالها وهو يرمى الكلب الهائج الذى يحاول
التملص بلا هوادة .. يثب على قضبان القفص ..
الزبد يتطاير من شقيقه ، ومن الواضح ما سيحدث
لو تملص .. قلت له :

- « أنت تعرف ما يحدث جيداً .. (عدنان)
شخص حقيقى .. لقد تأكدت من هذا ، وأعرف
جيداً أن لك علاقة بهذا كله .. هلم ! لا تضيع
الوقت فى الهراء .. إن هذا الحبل يضايق يدي ،
ولا أضمن ألا ينزلق منها حالاً .. »

- « لكنى لا أعرف شيئاً .. كيف أثبت هذا ؟ »

- « لن تثبته لأنه كذب .. »

جلس على مقعد هناك ، وبهد مرتجفة أخرج
للخافة تبغ ، ثم قال :

- « إذن .. يمكنك الانتظار للأبد لو أردت .. »

أصار حكم أن الفار بدأ يلعب فى عبي .. من
الصير على المرء أن ينكر حتى هذه المرحلة ،
وما دام الفتى لم يتكلم حتى هذه اللحظة فهناك
احتمال ليس واهياً أنه لا يعرف فعلاً شيئاً عن
الموضوع ... ماذا أفعل .. ؟ أطلق سراحه
واعتذر ؟ لكن كيف ؟ لعلهم كانوا على حق حين
اتهمونى بالتهور والاندفاع ..

قررت أن أجرب حظى لمرة أخيرة ، فجعلت
الحبل يرتخى فى يدي أكثر .. هنا - لحسن حظى -
ثار الكلب أكثر ، وراح يخمش الأرض وينبح فى
غضب مجنون ، كلما يودى ببراعة دوراً كتب له ..
لم لا ؟ أليس مسعوراً ؟

تراجع (ليفى) للوراء قليلاً ثم بدأ تماسكه
بهتز :

- « امسكه جيداً .. تباً لك من مجنون ! امسكه جيداً
يا احمق ! »

ثم ألقى بلفافة التبغ وداسها بقدمه وقال
مستسلماً :

- « ليكن .. نحن جربنا عليك عقار الهلوسة !! »
ساد صمت ثقيل ، وكان معناه الواضح هو
(استمر) فاستمر :

- « ليس عقار الهلوسة المعروف بـ L.S.D
(ليذرجيك أسيد داى إيثيل أميد) الذى كان الهيبز
يتعطونه ، بل هو تطوير له .. لا أعرف التفاصيل
للأرماكولوجية ، لكنها تتضمن إبراج مجموعة ميثيل
أو إيثيل أو شىء من هذا القبيل .. الخلاصة أنه
لا يجعلك تهلوس كالمدمنين ، لكنه يجعل استقبالك
للعالم الخارجى يختلف عن الآخرين .. هلوسة جزئية

تتعلق بمكان أو شخص ويسهل أن يتهم من يتعطى
هذا العقار بالجنون أو النسيان الهستيري .. »

- « ومن أعطاك العقار ؟ »

- « لا يهم .. إن لي مصالحى ، وأحسبك لا تريد
إلا لورى فى الموضوع .. »

- « عظيم .. عظيم .. ومتى نسيتم لى هذا
الشيء ؟ »

- « لقد قدم لك طبيب هولندى علبة من الكولا ،
وشربتها أنت بحسن نية .. ثم بدأ كل شيء .. »
جلست مرتضى الأطراف على مقعد هناك ،
وحاولت أن أركز تفكيرى .. لقد كان هناك ..

..... مرّ به طبيب هولندى يحمل علبة من
الشراب ، وبدأ كأنما سر لأنه وجد أحد الحمقى
حين أراد واحداً .. ، وقال لى فى ضيق :

- « هل تشرب هذه بدلاً مني ؟ إني لا أشرب هذه
الأشياء ، وأكره أن أرميها .. »

كانت علبة من الكولا الباردة ، فتناولتها شاكراً
وفتحتها ، وأفرغتها في جرعتين

★ ★ ★

طبيب هولندي قدم لي بعض ال

ولكن ثمة شيء ما خطأ .. لكني ..
ماذا كنت أريد قوله ؟ يا لاضطراب فكري !

رفعت وجهي إلى (ليفي) وسألته :

- « هل تعني أن الهلوسة جعلتني أعتقد أن (عنان)
اختفى ؟ »

- « بل جعلتك تعتقد أنه كان موجوداً من
البداية ! ليس هنا طبيب يدعي (عنان) ولم
يوجد قط !

والأوراق التي في جيبى ؟ ومددت يدي أبحث
عنها لأريه إياها .. ربااه ! جيبى خالٍ تمامًا !
هنا سمعته يصيح :

« الحبل ! أنت تركت الحبل ! »

★ ★ ★

٩- مرحباً بك في النادي !

دون كلمة أخرى اتجهت إلى باب الزنزاة للمظق
وفتحت القفل ، ثم أرحت للجنزير ، وغلرت المكان ..

فقط سمعته يهتف في عدم تصديق :

- « ولـ .. ولكن »

فككت لنفسي وأنا أمشي عبر ردهت (سافاري)
التي بدأت تخلو من العابرين : سيكون خداع
هؤلاء القوم صعباً في المرات القادمة ، لأنهم
رأوا الكثير من أسلوب (البلف) الذي أجيد ..

حبيل حول عنق كلب مسعور ؟ يا سلام ! من
يظنني هذا الأحمق لأفعلها ؟ وماذا لو تمكن الكلب
من الانقضاض على أصابعي ؟ إن طرف الحبل
الثاني كان حراً يلتف فقط حول جزء من القفص ،

وقد اخترت قصصاً يعطى بلبه الانطباع بأنه مولوب ..
وفي الظلام ومع التأثير النفسى يمكن للمرء أن
يصدق أى شيء .. أنا لن أترك كلباً مسعوراً بعض
أى إنسان أبداً ومهما آذانى هذا الإنسان .. لكنى
منحته ما هو أسوأ من السعار .. منحته الهلع !

سيحتاج (ليلى) إلى شجاعة أكثر من اللازم
كى يواصل تجاربه على هذه الكلاب المسعورة ،
وسيحتاج إلى وقت طويل كى يفهم أتنى كنت
أعب به .. أعب به بقسوة ...

لكنه تكلم ، وكلامه هو ما كنت أحتاج إليه ..
فقط يجب أن أختلى بنفسى كى أفسر كلماته
وأربطها بالواقع ..

★ ★ ★

السؤال الاول - والأهم - هنا هو : أين ذهبت
الأوراق ؟

في الحقيقة لا أعرف ، ومن الصبر اختراص لثني
أضعت أوراقاً بهذه الأهمية ، لأنني أبله أو شيء
من هذا القبيل .. حتى الأبله يعرف أين ومتى
يتوقف عند نقطة ما ، ويتصرف بذكاء ..

السؤال الثاني مهم أيضاً : متى بالضبط تعرضت
لجرعة عقار الهلوسة ؟ تعرضت لها - كما أذكر -
بعدها اتصرفت (برنلت) من الكافتيريا ، وقبل أن
أذهب مع (بسام) لزيارة (عدنان) .. التوقيت
هنا مهم جداً ...

أى أنني لم أكن أهلوس حين زرت (عدنان)
المريض في الطوارئ لآخر مرة ، فلم يكن العقار قد
لدى نوره بعد بهذه السرعة .. ولو فرضنا جدلاً أنه
عقار يعمل بسرعة الفمونتاتية ، فكيف يعمل بلتر
رجعى ؟ بمعنى أن يقحم (عدنان) في قصصى
السابقة ؟ لقد جاعنا (عدنان) أيام أزمة جنون
الحيوانات إياها .. وقد كتبت هذا في خطاباتى
ومذكراتى .. لا تقل لى إن عقاراً أعطاه الآن قد
غير أحداثاً قديمة موثقة ..

ولو كان هذا العقار بهذه القوة - إلى حد تغيير
الماضى - فمن أين جاء اسم (عدنان) على الأشعة
وتحليل البصاق !!!

الخلاصة : هناك واحد فعلاً يدعى (أحمد
عدنان) .. وقد عرفته وعُدته فى مرضه ..

إن العقار لم يجعلنى أتخيل وجود الفتى .. فهل
يكون قد جعلنى أتخيل اختفاءه ؟ بالطبع لا .. فمن
الواضح - حتى هذه اللحظة - أن الكل يعتقد أنه
غير موجود أصلاً .. ولو كنت أتخيل أنه اختفى ،
لكان الكل يسخرون منى ويؤكدون أنه موجود
ويعمارس عمله جيداً ..

يا لها من دوامة عقلية !

النتيجة للمنطقية الوحيدة هى أن العقار لم يلعب
دوراً واضحاً معى .. لم يجعل (عدنان) يظهر
أو يختفى ... ولو تعاطاه كل الموجودين فى
(سفارى) ما عدى لكأت القصة قابلة للتفسير ،

لكننى الوحيد الذى تعطاء ، وبالتالى أنا الوحيد المفترض
منه أن يهلوس ..

أين تنتهى الحقيقة وتبدأ الهلوس إذن ؟ متى
كففت عن أكون مصيباً وصرت مخرفاً ؟

وراحت الصور تتلاعب فى ذهنى حتى غلبنى
النعاس ..

★ ★ ★

فى الصباح غادرت غرفتى مشوش الذهن
مضطرباً ، كأنما لم أكن نائماً وإنما أتلقى علقة من
عشرة مصارعين ضخام الأجساد .. كنت أعرف أن
(ليفى) سيظل صامتاً .. هذه هى مزية تهديد من
ارتكب جريمة بدوره .. تاجر المخدرات لا يبلغ
الشرطة عن سرقة متجره .. إن الأمر بيننا حرب
خفية لا يلاحظها الكثيرون أو لا يعرفون تفاصيلها ،
وكلما رأنا أحد من الإدارة ، احتفظنا بالبسمات
المتحضرة المتمدينة إياها .. لكن (ليفى) يعرف

وأنا أعرف أننا لو رحلنا إلى عالم افتراضى ليس فيه سواتا ... عندئذ ... آه ... ه ه ه ه ه ! هذا أجمل من أن أحلم به ..

واتجهت إلى المعمل لأتلقى اللوم والتوبيخ من (هيلجا) .. لا بأس .. لقد استحققت هذا على كل حل ..

ثم جلست كي لواصل ما تركته لى من عمل أمس ..

بعد قليل دخل المعمل طبيب فرنسى شاب اسمه (ميشيل بيلار) .. لم تكن لى علاقة به ، لكنى أعرفه جيدًا .. أزعم أنني أعرف كل وجه فى (سافارى) الآن .. إنه يدرس الغدد الصماء ، وهو شاب خجول مهذب ، شديد الانطواء ، ومن الواضح أنه معجب بزميلته الفرنسية السمراء (صوفى) ، لكنه بالطبع لا يصارحها بشيء .. هذا هو ما كنت أعرفه عنه حتى هذه اللحظة ..

فى عينيه لهفة ، وعلى شفطيه سؤال حائر ، وثمة لمعة توشك على الانحدار من عينيه .. غريب هذا !

اتجه إلى (هيلجا) وفي تردد سألتها :

- « فراق (هيلجا) .. أرجو أن تخبريني بالحقيقة .. »

وضعت قبضتيها في خصرها ، ولفافة التبغ بين
شفتيها ، وفي حزم قالت :

- « الحقيقة قتلها لك أمس يا فتى .. وليست
مشكلتي ألا تصدقها .. »

ارتجفت يداه وبدأ موشكاً على القىء .. وقال
ضاغظاً على كلماته :

- « أقسم لك إنني لا أمزح .. لقد كنت هنا ..
أنا لا أهذى .. »

أشارت إلى الباب في صلابة وقالت :

- « يمكنك أن تبحث عنها في مكان آخر ..
أنت تضيع الوقت هنا .. »

- « لقد ظلت (صوفي) تعمل معك ثلاثة
أسابيع ، وبرغم هذا تقولين إنك »

- « .. لا أعرفها ، ولم أرها ولا يذكرني الاسم
بشيء ... والآن .. »

وأشارت في حسم إلى الباب .. لو كنت مكانك
يا بنى لغادرت المكان حالا .. إن الاشتباك مع
هذه المرأة مستحيل نفسيا وجسديا .. فهي أقوى
شخصية منك وأقوى جسدا كذلك ، وأعتقد أن
نهايتك في دفعة واحدة من يدها المعروفة هذه ..

- « ولكن ... »

هنا فقط تنبّهت إلى ما يقول الفتى .. ثمّة
شيء مألوف في هذا .. وأخبرني حدسي - الذى
قلما يخطئ - أن الأمر بالتأكيد أكبر من مجرد
سوء تفاهم .. الأمر آت من نفس العالم الغامض
الذى جاءت منه مشكلتى ..

يقول إن (صوفى) لم تعد هنا .. وأنا أعرف
(صوفى) .. هذه المرة أنا أعرفها جيدا ولن
يستطيع أحد أن يزعم أنها لم توجد .. ولكن
ما هي القصة بالضبط وما هي أبعادها ؟؟

خرج الفتى من المعصل ، فهرعت ألحق به دون
أن يطلب الإذن من (هيلجا) كالعادة .. لن يضيف
هذا جديداً ، وأنا على كل حال - لحسن حظي -
أملك دليلاً مادياً على أنني مضطرب العقل .. لقد
أمضيت ساعتين مع د. (جونستون) ، وليس على
المريض حرج إن كان بوسعهم فهم هذا ..

- « هيه ! د. (بيلار) ! »

نظر إلى الوراء متسائلاً ، فلحقت به .. وتأبطت
ذراعه قائلاً في مودة أثارت توجسه :

- « هل يضيقك أن نجلس لنتكلم في الكافيتيريا ؟ »

راح يرمقني في رعب وتوتر ، فقلت له ولنا فتح
ذراعي ومعطفي كما يفعلون في الغرب الأمريكي :

- « كما ترى .. أنا غير مسلح ! »

وللمرة الأولى ابتسم ..

★ ★ ★

كُتبت (صوفى) قد جاءت إلى الوحدة منذ أشهر ،
وكانت فرنسية من أصل إفريقى .. إن الزوج فى
فرنسا كثيرون جداً فى الواقع ، وحتى (هتلر) فى
كتابه (كفاحى) - أى منذ الثلاثينات - قد لاحظ هذا
واغتاظ له جداً ، ووصف فرنسا بأنها تحولت إلى
(دولة إفريقية فى أوروبا) ..

فتاة هى (صوفى) .. جمال الأبنوس كما وصفه
الشعراء .. فيها كل ما يميز غزال (أمبالا)
الرشيق ، وكل ما يثير غيظ (هتلر) .. وبالنسبة
لـ (ميشيل بولار) كانت هى أجمل وأرق فتاة
عرفها فى حياته ، وقد قام بالنشاط المعتاد لأى
رجل خجول يعجب بفتاة : لاحقها بعينه فى كل
مكان ، وكان يرسل نظراته كى تكنس الأرضية التى
تمشى عليها ، وترتب سرير الفحص فى عيانتها ،
وربما تصفف لها شعرها (الأكرت) أيضاً .. الخلاصة
أن (بولار) كان يعرف جيداً أن (صوفى)
حقيقية .. ربما حقيقية أكثر منه بمراحل ..

- « ثم فجأة لم تعد هناك .. »

وبالمسؤول عنها لاحظ شيئا غير متوقع .. الجميع
ينكر أن هناك من تدعى (صوفى) فى وحدة
(سفارى) .. صديقتها .. زميلاتها .. مرضاها ..
مرضتها .. الجميع قل إنها لم تكن .. لم توجد قط ..
قلت له وأنا أجرع القهوة التى لها مذاق عرق
سحلية (البازيليك) :

- « .. وبحثت جيدا فى الأوراق ، ولربما فى
ملفات الحاسب الآلى فلم تجد شيئا .. »

- « بالضبط .. لم توجد ولا توجد من تدعى
(صوفى دافريه) .. »

وضعت كفى على كتفه فى مرح ، وقد بدا لى أن
الحياة تبتسم لى من جديد :

- « مرحبا بك فى النادى يا بنى .. يسرنى أننى
لم أعد وحدى هنا ! »

★ ★ ★

١٠ - بعض التفتيش لن يضر أحداً ..

فى لهفة أمسك يدى بكلتا يديه وهتف متوسلاً :

- « أنت رأيتها مثلى .. أنت تعرفها مثلى ..
أنا لست مجنوناً .. »

انتزعت يدى وقلت فى سام :

- « رأيتها وعرفتها ، لكن شهادتى ليست مما
يمكن أن ينقذك .. إن عطفى قد صار موضع
تساؤلات كثيرة ، وفى الغالب لن ينظروا إلينا
إلا كبرادى شاي لا أكثر .. وسيقولون : من يشهد
للمجنون بأنه براد شاي إلا مجنون آخر ؟ لكن
دعنى أسألك بدورى نفس السؤال .. هل عرفت
أو قابلت عربياً يدعى (أحمد عدنان) هنا ؟ »

وكنت أعرف أنه سيجاملنى ، ويقول أنه يعرفه
حتى لو كان كاذباً ، لكنه هز رأسه فى حيرة وفكر
قليلاً ، ثم قال :

- « لا أدري .. لا أعرف كل الأطباء هنا .. »

هذه المرة جاء نوري كي أقول بلهجة كالتوسل :

- « تذكر قليلاً .. إن الأمر مهم لى .. إن الفتى

يشبهنى إلى حد ما لكنه أكثر سمرة ونحولاً وتهنيئاً .. »

فكر قليلاً ثم هز رأسه كمن تذكر ، وصاح :

- « نعم .. نعم .. أعرفه .. إنه ذلك المهم

بأمراض المناعة الخلوية .. »

- « الآن فقط أدرك أنك تعرفه حقاً .. »

★ ★ ★

فى الساعة التالية جلسنا نمحص الموضوع بدقة ،

وشعرت بالرضا لأن هناك من يشاركنى هو اجسى

ولو هلمى المتضاربة .. ربما كان مجنوناً ، لكن الجنون

ليس معدياً ، ولو كان معدياً فضلالاته ليست كذلك ..

ومن العسير أن يحتفظ كل منا بالاعتقاد المضلل

ذاته .. وكما قالت (برنات) : كل مصحة فيها
براد شاي ، لكن ليس فيها برادان ..

قلت له والغموض يزداد كثافة من حولنا :

- « لسبب ما اختفى هذان الاثنان .. ولسبب
ما اختفيا كذلك في ذهن أفراد (سافاري) وملفاتهما
والحاسب الآلي .. إن الملفات والحاسب الآلي
يمكن العبث بهما .. لكن لا يمكن العبث بأذهان
أشخاص أعزاء مثل (برنات) و (بسام)
أو محترمين موثوق بكلامهم مثل (بارتلييه)
أو (شيلبي) »

أضاف موافقاً على كلامي :

- « ولسبب ما لم يختفيا من ذهنينا أنا وأنت ..
فلماذا ؟ »

- « لا أرى .. لكن عملية الإزالة والمحو لم تكن
محكمة تماماً معزولة عن الماء كما تعلم .. ثمة
ثغرات مثل الأشعة ومزرعة البصاق في حالتني ..

وإبنى الآن قد كسبت شيئاً مهماً : اليقين من أننى
لست مجنوناً .. ولعمر الله هذه نقطة يمكن البدء
منها .. »

ثم تذكرت شيئاً مهماً ، فملت عليه أسأله :

- « ماذا كانت (صوفى) تعمل فى آخر مرة
رأيتها فيها ؟ »

- « لم تكن تعمل شيئاً .. كانت مكلفة بمعاونة
تلك الطبيبة الألمانية المفترسة ثم أصابها بعض
التوعك .. وقد وقفت مكاتها طبيبة هندية لتكمل
العمل .. طبعاً تنكر هذه الهندية كل شىء ، وكما
رأيت فإن (هيلجا) أيضاً تد ... »

- « هذا غريب .. نفس ما حدث مع (عنان)
تقريباً .. لو كان هذا مرضاً اسمه (الاختفاء) ،
فإن التوعك فى أثناء العمل هو أول أعراضه .. »
ثم نهضت ، وقد استقر عزمى على شىء ، فقال
لى دون أن ينهض :

- « ماذا تتوى عمله ؟ »

- « ما لم أفعله من زمن ، وكان من المنطقي
أن أفعله .. سأدخل غرفة (عدنان) .. »

★ ★ ★

فى هذه الساعة من النهار يخلو جناح سكنى
الأطباء تماماً ، ومن دون أسئلة محرجة ، يمكنك أن
تأخذ فيلاً إلى حجرتك ، أو تسرق فيلاً من حجرة
أى واحد ، لو كانت الأخيال هنا بهذه الكثرة ..

عند نهاية الممر توقفت ونظرت حولى ..
لا أحد .. أخرجت مجموعة المفاتيح الخاصة بى ،
وبدأت أجرب .. هذا لا يحتاج إلى براعة ما لأن كل
أبواب (سفارى) تفتح بذات السهولة ، ولربما
اتفتح القفل لو أنك (شخطت) فيه قليلاً ، لكنى
للدقة لم أجرب هذا الأسلوب بعد ..

اتفتح قلب .. وأخيراً أرى الغرفة المظلمة اللهم

إلا من ضوء خافت يتسرب عبر ستائر النافذة
السميكة .. أغلقت الباب ورائى ، ودخلت ..

من الواضح أنه لا أحد يقيم فى هذه الغرفة الآن ،
لأنها أشبه بغرف المستشفيات بعد خروج المريض ..
كان من الطبيعى - ضمن ما يحدث لى من غرائب - أن
أجد أن هناك من يقيم فيها منذ عشر سنوات ،
لكن هذا لم يحدث ولله الحمد .. الغرفة الخالية
ما زالت كما هى .. غرفة خالية ..

ثمة محاولة تنظيف سريعة متعجلة حدثت منذ
أيام .. ملاءة جديدة وأكياس وسادات جديدة ، وجوار
الفراش كانت علبة من دواء مخفض للحرارة ،
كجزء من عملية النسيان المستمرة .. إن من
محا هذه التفاصيل ليس كلى القدرة كما هو
واضح ، ولو جرؤت لاتهمته ببعض الإهمال ..

فتحت الخزائنة الجدارية ، وفتشت فيها ولم أجد
شيئا ذا أهمية .. فردة من جورب أزرق لا يدل على
شئ .. ثم بحثت فى الكومود جوار الفراش .. كان

هناك درجان .. الأول كان خالياً إلا من ترمومتر لم
يتم هذه ، والزئبق فيه مازال يحمل رقماً مرتفعاً
حقاً .. الدرج الثاني كان خالياً أيضاً لكنى وجدت
ما يشبه بطاقة صغيرة محشورة في ركنه .. مللت
يدى وانتزعتها وتأملتُها في الضوء الخافت ..
كانت متصلة بدبوس مشبك وقد كتب عليها :

أحمد عدنان الفهدى
طبيب مقيم

وعلى البطاقة المثنية المقلقة كانت أختام
(سفاري) وتوقيع (بارتلييه) ورقم الحاسب الآلى ..
باختصار .. كل شيء .. إبنى أحمل بطاقة تعريف
ممثلة مثبته إلى معطى ، وهى حجة رسمية لاجدال
بعدها ..

لست للبطاقة فى جيبى ، وثبتها بدبوس المشبك
إلى قماش الجيب ، وأقسمت إنها لن تختفى فى
ظروف غامضة .. ثم أغلقت الدرج ، وأعدت تفقد

الغرفة فى بقعة ، ثم وقفت أرمى الفراش وأنا
أرسم الخطة فى ذهنى ..

لن يساعنى أحد فى (سافارى) ، لذا سأغادرها
خلسة متجهاً إلى (يلوندى) ، وهناك سأقبل مدير
(سافارى) السويسرى - الرجل الكبير - الذى يرأس
(بارتلييه) .. سأقدم له البطاقة وأطلب منه أن
يحقق فى الأمر .. لن ينكر ويتهمنى بالجنون ..
أشياء كهذه تحدث فى أفلام الرعب التى تتأقش
نيمة الاستبدال أو الاستحواذ لكنها لا تحدث فى
الواقع ..

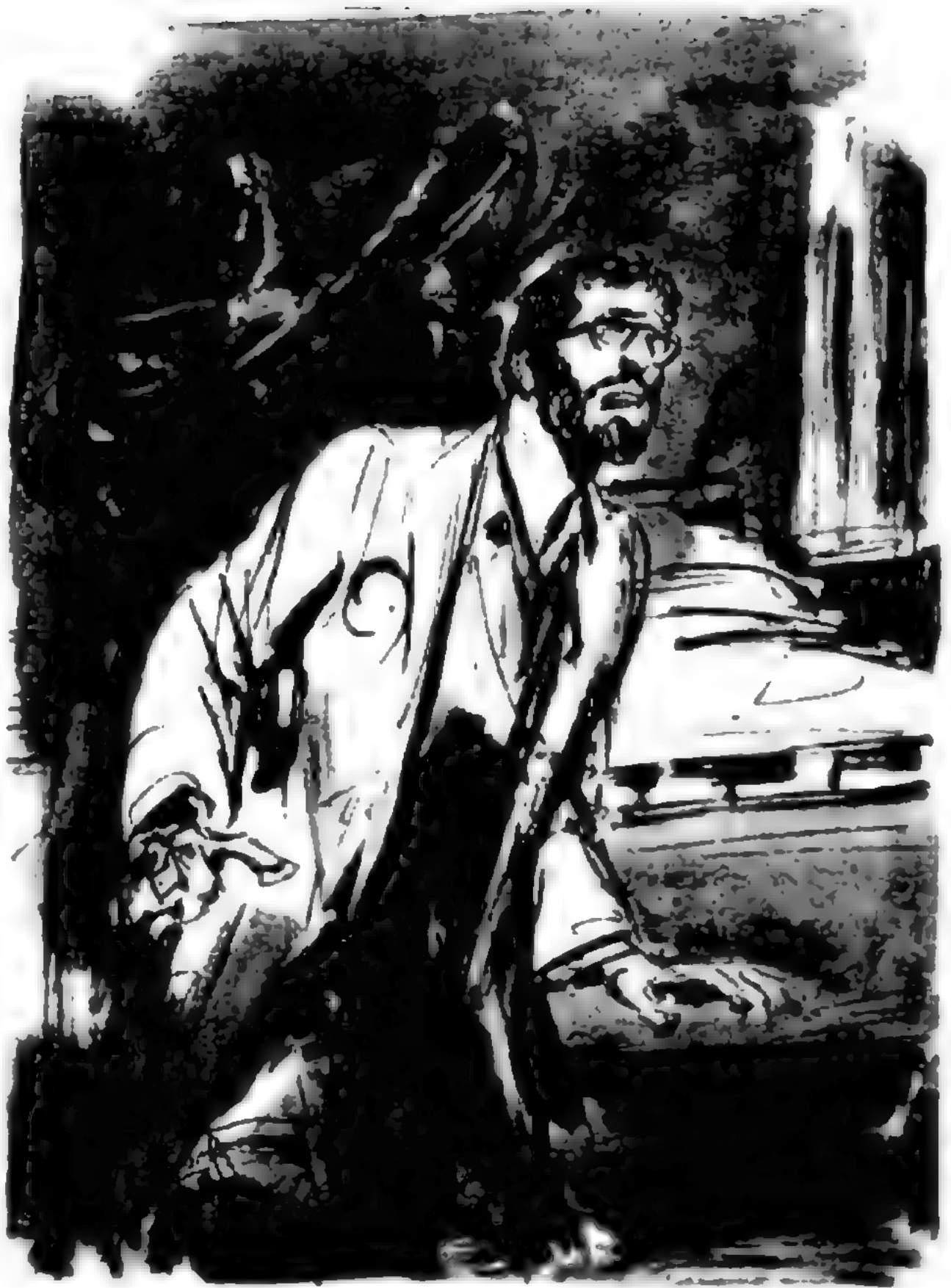
فقط يستطيع مديرو (سافارى) وربما رجال
الشرطة فهم سر اختفاء طبييين من (سافارى) ،
وإنكار كل العاملين بالوحدة لهذه الحقيقة ..

كنت غارقاً فى أفكارى ولا أدرى متى ولا كيف
دخل الغرفة من دخل ..

كنت غارقاً في أفكارى فلم أدر كيف ولا متى
هوجمت من الخلف ..

كنت غارقاً في أفكارى فلم أدر متى ولا كيف
غبت عن العالم ..

★ ★ ★



كنت غارقاً في أفكارى فلم أدر كيف ولا متى
هوجمت من الخلف ..

١١ - براد شای حاول الانتحار ..

بيب ! بيب ! بيب !

هذه الأغطية الناعمة الجميلة تحيط بي ، وذلك
الوجه الصبوح كأنه القمر يطل على .. على ماذا
بالضبط ؟ حقًا لا أعرف .. لكنه القمر - هو وجه
(برنالت) طبعًا حتى ولو كان منكوش للشعر أحمر
الأنف .. إنها هنا ، وحولها مجموعة أخرى من
الأقمار القبيحة التي أعوذ بالله من منظرها ..
بيب ! بيب ! بيب ! لرى وجه (بارتلييه) و (بيبير)
و (فاريا) طبيب الطوارئ الروسى .. وأدرك أنني
أنفذ سيناريو الإفاقة المعروف .. وكل ما على هو
أن أفتح عيني فى تعب وأتساءل : أين أنا ؟

كنت هناك إبرة مثبتة على نراعى يتفق منها
محلول ما ، وكانت الممرضة الإنجليزیه الشرسة

تصدر أوامرها لمرضة فلبينية طفلة مذعورة ،
فرغت على الفور من حقن شيء ما في القفاة
لوريدية .. بيب ! بيب ! بيب !

ونظرت جوارى .. كان الأمر مخيفاً بحق ..
فأنا أرى معدات الإخافة الرئوية القلبية CPR بكل
ما تعنيه .. القناع وجهاز الصدمات القلبية
وبيكربونات الصوديوم وأمبولات الإبينفرين
للمهشمة .. كلا .. هذا ليس لى يا سادة .. لا يمكن
أن يكون لى لأنى لست من الطراز الأحق الذى
يتوقف قلبه عن الخفقان .. بيب ! بيب ! بيب !
ونظرت إلى اليمين لأرى الجمال الخضراء
تمشى مسيرتها الأبدية على شاشة المرقب
(المونيتور) ، تلك المسيرة التى لن تتوقف
إلا يوم أموت أنا ..

وسألت (برناريت) فى حذر :

- « هل ... هل توقف قلبى ؟ »

ابتسمت ولم تقل شيئاً ، لكنى رأيت دمية متصلة
فى عينها كانت إجابة لا بأس بها ..

هنا قال (بارتلييه) فى ضيق :

- « أنت أحمق ، وقد توقف قلبك بالفعل لبضع
ثوان .. لكن الوقت ليس ملائماً للوم على كل حل .. »
ونظر إلى (بير) الذى يفهم هذه الأمور
وسأله :

- « هل هو بخير الآن ؟ »

- « اعتقد .. سأعيد غسل المعدة ثانياً ، ولربما
لن نحتاج إلى غسل كلوى لإزالة تلك الباربيتورات^(*)
من الدم .. »

هنا كدت أهب صارخاً ، لولا أن أوقفتنى ست
أيد ملهوفة تأمرنى بالأفعل :

- « باربيتورات ؟ ! »

(*) نواء منوم ويستعمل للاختلال بكثرة ..

قال (بيير) فى هدوء كأنما يروض جوادًا
جامحًا بالإمساك بخطمة :

- « صبرًا .. صبرًا .. لم يعد هناك الكثير منها
فى دمك .. ستكون على ما يرام .. »

ثم نظر لمن حوله وصاح أمرًا :

- « هيا يا جلعان .. لم يعد هناك ما ترون .. »

تفرق الواقفون وهم يتمنون لو بقوا ليستمتعوا
بما يحدث .. وبقيت وحدى مع (برنات) التى
بدا أنها لا تتوى الانصراف .. كانت جالسة على
طرف الفراش ، والدموع فى عينيها ، فشعرت
بفخر شديد .. لو كان توقف قلبى قد أسال هذه
الدموع من أجلى ، فإتيا والله لم تكن تجربة
مؤسسية على الإطلاق ! المشكلة الوحيدة أن
الفارق بين دموع الشفقة ودموع اللهفة على
حبيب ؛ هو فارق واه جدًا يصعب تمييزه .. وأنا لن
أسألها .. من أكون أنا حتى أسألها ؟ إنها ستتكر

على كل حال ، وستقول إن منظرى وأنا على
حافة الموت (صعب عليها) .. هكذا لا أكثر ...

بعد ما غدونا وحدنا ، سألتها فى لهفة :

- « ما موضوع توقف القلب والباربيتورات

هذا ؟ »

أخرجت منديلها فافرغت فيه رطلين أو أكثر ،

ثم قالت دامعة :

- « بففففففف ! لماذا تحاول الانتحار يا (علاء) ؟

أنت هنا بين أصدقائك ومن يعنون بك .. »

- « أنا حاولت الانتحار ؟ متى وكيف ؟ »

- « لقد وجدوك على باب غرفتك وكنت فاقد

الرشد ، وكأنت الزجاجاة بجاتيك .. فارغة ..

أحضروك إلى الطوارئ واستدعوا المدير بمكبرات

الصوت .. سمعت وجئت هنا لأجدهم يحاولون

إعادة قلبك إلى الخلقان .. »

- « يا سلام ! وماذا تقولين في كوني هوجمت ؟ »

- « هوجمت ؟ »

- « نعم ثمة من جاء من خلفي ، ولا أدري
حقاً ما حدث .. لكنه أفقدني الوعي .. »

قالت في ثقة وهي تربت على يدي :

- « (علاء) .. إن من يهاجمون لا يتركون
وراءهم زجاجات باربيتيورات فارغة .. »

- « أنا أختلف عن الآخرين .. ثم إنني ... »

- « ثم إن حالتك النفسية لم تكن على ما يرام
في الفترة الماضية .. هذا أمر مبرر ويحدث ،
لكنه لا يجعلك تنتحر .. أنا نفسي لم .. »

صحت في عصبية :

- « ستحشيني عن براك الشاي ، ولماذا لا ينبغي
أن يعلن حقيقته .. أفهم هذا .. لكن ما من براك شاي
قد انتحر في التاريخ ، وسوف يكون بحثاً علمياً
شائقاً بحق .. »

ثم ركلت الملاءة بمزيد من العدوانية وقلت :

- « مادمت لن تصدقيني ، فباتنى أرجوك
الاتصراف .. شكرًا .. لقد قمت بالواجب .. أما
الآن فأنا لا أجد لك نفعًا ولا ضررًا هنا .. كما
ترين أنا بخير وسأكون بأفضل حال لو تكلمت
مشكورة و »

فماذا تفعل المرأة حين يطلب منها الرجل أن
ترحل حالاً ؟ بالطبع تنهض من دون كلمة وتغادر
المكان .. وكنت رائق الذهن صافيه .. الأمر الذى
يؤكد لى لم أكن تحت تأثيرات الباربيتورات هذه ،
التي يظل من يتعاطاها فى حالة تلبذ ذهنى كامل
لمدة يوم أو يومين ..

كنت أرقد بشيلى الكاملة ، لكن أحدهم مزق أزرار
قميصى ومزق الفاتلة الداخلية كى يتمكن من وضع
اللقطاب على صدرى .. تحسست جيبي - جيب
المعطف - بحثًا عن البطاقة المشبوكة بدهوس ..

طبعاً لم تكن هناك ، وهو شيء كنت أتوقعه على كل حال .. لكنه يدل على شيء واحد : مهاجمي لم يحرص على قتلى ولم يهتم به .. كان يوسعه الخلاص مني بسهولة تامة .. فهل قام بهذه المناورة لمجرد الحصول على البطاقة ؟

من جديد أنا وحدي في العراق بلا دليل واحد على أنني لست مجنوناً ..

من جديد أبدأ من جديد

★ ★ ★

« لو كان هذا مرضاً اسمه (الاختفاء) ، فإن التوقع في أثناء العمل هو أول أعراضه .. »

★ ★ ★

وما لم يخطر ببالي في تلك اللحظات هو أن الدور قد جاء على أنا أيضاً كي أختفى ...

لم لا ؟ كل واحد من المختلفين قد أصابه المرض

قبل اختفائه ، ومن الواضح أن هذه هي علامات قرب
التلاشي .. أنا الآن متوَعك ، أو هذا ما يحسبه
الجميع ..

أرقد في الظلام شبه الدامس .. إن غرفة الطوارئ
لا يدخلها النور أبدًا ، ومن العسير أن تعرف هل
هذا صباح أم مساء .. لا مصدر للضوء إلا الباب ..

والآن أرى هذا للظل يملأ الباب بطريقة السلويت ..
ها هو ذا يتقدم في تودة نحو فراشي ..

لسبب ما لم أحب منظره ، ولا طريقته في المشي ،
ولم أحب الوقفة المتصلبة التي وقفها على الباب
كأنما فهد يتشمم الهواء قبل الانقضاء ...

نظرت حولى في غرفة الطوارئ .. كنت وحيدًا
وكانت هناك ثلاثة أسرة خالية ، كما لم يكن هناك
ممرضات ولا أطباء .. بالطبع يمكننى أن أصرخ ..
لكن ماذا لو كنت واهمًا وكان هذا القادم شبحًا ؟
سأضيف مزيدًا من الأوراق إلى ملف جنونى ، ولن
يصدق أحد حرفًا مما أقول ..

وجلست على طرف الفراش ، واستعدت للركل
أو الوثب أو الصراخ .. أى شيء سأقرره فى
اللحظات التالية ..

إنه يبنو .. لا شك فى هذا .. إنه يقف أمام
فراشى ..

إنه ينحنى نحوى ويمد يدا سوداء طويلة الأصابع
إلى رأسى ..
إنه

★ ★ ★

١٢- داوا يا دكتور .. داوا ..

إنه (بودرجا) !

الممرض الكامبيروني طيب القلب ، ينحنى على فراشي ، وقد أدركت أنه أكثر ذعرا مني ..

- « هل أنت متيقظ يا دكتور ؟ أنا آسف .. إن عيني لم تعادا الظلام ، وقد كدت أسقط فوق فراشك .. »

ساعده على الجلوس ، وبدا أن عينيه الفتا الضوء نوعا ، فقلت له :

- « لو كنت قد جئت لتلومني على الانتحار فلتت تضيع وقتك .. أنا لم أفعل .. »

لشدة دهشتي قال في ثقة :

- « أعرف هذا وأعرف أنك مسكين .. صادق
في كل ما تقول .. لقد حدث هذا من قبل .. »

- « ماذا ؟ »

نظر حوله كأنما يتأكد من أن أحدا لا يسمعه
ثم قال همسا :

- « حين تسترد قواك .. سنذهب إلى القرية ..
إن العجوز (موكلبلجتي) يعرف كل شيء .. ولسوف
يحكي لك القصة كلها .. »

وحاول النهوض فتشبث بذراعه ملهوفاً وتساءلت :

- « لحظة .. هل رأيت أنت أيضا (عدنان)
و (صوفى) هذين ؟ »

مط شفته السفلى الغليظة نافيا وقال :

- « لا .. لم أرها قط ، لكنى لا أستبعد أنهما
وجدا .. »

ثم أعاد للنظر من حوله وقال بصوت كالضحك :

- « لن يتركوك يا دكتور إلى أن تنسى .. نعم .. تنسى .. يجب أن تنسى وتتلاشى هذه الذكرى من عقلك تمامًا .. إن العجز سيساعدك على هذا .. ربما سقاك شيئاً أو أطعمك شيئاً ، وسوف تنسى سريعاً .. »

صحت محققاً :

- « من هم ١٩٩٩ »

رسم علامة يستخدمونها كثيراً هنا لإبعاد الأرواح ، وقال :

- « الداوا يا دكتور .. الداوا .. »

لن نعود لهذا أيها الأحمق .. إن الداوا التي تتحدث عنها هذه تملأ كل بوصة من العلم ، وأنت لا ترى سواها .. والداوا - لمن جاعوا متأخرًا - هي الأرواح عند البائتو .. والأرواح لا تحتاج إلى أن تكون لطيفة أو ودوداً .. إنها في الغالب شريرة آثمة لا عمل لها إلا جعل حياة (بودرجا) وقومه جحيماً ..

قلت له في صبر متوقفاً المزيد من الكلام
الفارغ :

- « هلا حكيت لى القصة من البداية ؟ »

★ ★ ★

يقول (بودرجا) :

« القصة فى القرية منذ سنين .. أسطورة يحكيها
الأجداد لأحفادهم ، وهم يرتجفون ذعراً .. لكن
دلائل كثيرة تقول إنها حقيقية وإنها تحدث فعلاً ..

« فى القرية يطلقون عليهما (هو) و (هى) ..
وأحياناً يطلقون عليهما (الاثنان) .. وفى الغالب
يسمونهما (كيتومبا) و (مازومبا) .. لا أحد يعرف
من أين جاءا ولا أين يذهبان ، لكنهما لا يكفان
عن الظهور من وقت لآخر ، وفى كل مرة يتخذان
شكلاً بشرياً ويمارسان الحياة كأنهما بشريان ،
ويندمجان مع القوم تماماً ، يأكلان ما يأكلون
ويشربان ما يشربون ويتكلمان بلسانهم ..

« فى كل مرة يكون لهما وجهان جديدان واسمان
جديدان .. لكن العلامة التى تدل عليهما دوماً هى
قلادة ذهبية حفرت عليها بالتفريغ صورة الشمس ،
ومهما اختلفت وجهاهما وأينما ظهرا ، فلابد من أن
ترى هذه العلامة ..

« بعد أشهر من تلك الحياة الغريبة تداهمها
أمراض البشر التى لم يتعلما كيف يتقياتها .. هنا
يختفيان تماماً .. يزيلان كل أثر لوجودهما وينسى
الناس كل شئ عنهما كأنما لم يوجد قط .. لكن
بعض الناس - لسبب ما - يحتفظ بذكرهما ،
ويروح يتساعل عنهما فى كل صوب ، فيتهمه
الآخرون بالجنون .. ومن بقايا هذه القصص
عرف العجوز (موكاباجاتى) ما عرف ..

« ما الذى يفيدان من هذه التجربة الغريبة ؟
لا أحد يعرف .. يقولون فى القرية إنهما يحبان

أن يشعرا بأنهما حيان من آن لآخر ، لأنهما ليسا
كذلك .. وهما يحبان أن يجربا أكثر من ثوب وأكثر
من حياة ، ولهذا يزيلان كل بقايا التجربة السابقة
من الأذهان كي يبدأ من جديد ..

« إن من يصرون على عدم النسيان لحظهم
للعتثر ، يدفعون الثمن غالياً .. منهم من يجن ومن
يبيع نفسه .. أو - في أفضل الظروف - يلقي معاملة
المجانيين دون أن يستحقها .. وقد تعلم العجوز
(موكلبلجتي) أن السلام الأوحده هو النسيان ، لهذا
يمنحه لكل من يطلب دون مقابل .. النسيان هو
خلاصك يا دكتور ، ومن دونه لن تجد يوماً واحداً
من الراحة .. »

★ ★ ★

سألت (بويرجا) وأنا لا أعرف حقاً ما اعتقده :

- « هل تعنى أن (أحمد عدنان) لم يوجد فى
(سافارى) قط ؟ »

- « نعم .. كان هناك شيء يبدو كلبشر وينتحل
اسم (عدنان) .. وقد رحل ، والسبب ما أنت الوحيد
الذى لم ينس .. »

- « والباقيون فى (سافارى) صالقون ؟ لا أحد
منهم يذكر شيئاً على الإطلاق ؟ »
- « هذا حق .. »

واتصرف (بويرجا) على وعد باللقاء صباحاً ،
لكنى ظللت فى الظلام أفكر فى هذا كله ..
وكيف يجيء النوم لمن قيل له ما قيل لى ؟؟؟

وقررت فى الصباح أن أقوم ببعض التحريات
للمهمة .. لذا أرفض أن أصدق .. لكن كل شيء جئز
فى إفريقيا ..

فقط لتمر الليلة بسلام ، وأرجو ألا يحاول أحدهم
جعلى أنسى بطريقة من تلك الطرق المعروفة
بالغة الحماس ..

★ ★ ★

وفى للصباح اتجهت إلى قسم الأشعة ، ولحسن
الحظ لم يكن الكورى (شنج هاو - شيتج) قد عرف
شيئاً عن محاولة انتحارى المزعومة .. رحب بى
بحرارة ودعانى إلى الجلوس .. قلت له إتنى
راغب فى رؤية بعض أفلام الأشعة التى قمت
بتسويقها فى المرة الأخيرة ..

كالعادة نهض ليحضر لى رزمات الأشعة إياها
وهو يقول لاهثاً :

- « لا بأس .. إن الحنطة لا تنمو إلا بعد زخة
المطر الثانية ، كما يقولون فى جنوب .. »

- « نعم .. نعم .. مفهوم .. فى مصر نقول إن
(التكرار يعلم الحمار) .. دعنى أعلنك فى هذا .. »

وجلست أمارس نفس المهمة الثقيلة ، وتوقعت
ألا أجد الأشعة هذه المرة مادام (الاثنان) يعملان
بهذه الدقة .. لكنى - والحمد لله - وجدتتها بعد
ساعة ونصف من العمل المتواصل .. تأملتتها فى
الضوء ، ثم حملتها إلى المصباح وأعت فحصها ..
هذه المرة لم أكن أبحث عن المرض بل عن
السلسلة الذهبية .. السلسلة التى كنت أكره أن أرى
(عنان) يلبسها ..

وفى الضوء استطعت أن أرى التفاصيل المحفورة
عليها .. كانت محفورة بطريقة التفريغ فى القلادة
ذاتها ، وبللتلى كان لها ظل واضح على فيلم الأشعة ..
أرى قرص الشمس ، والإشعاعات تخرج منه
فى كل صوب

★ ★ ★

قالت (ميشيل بيلار) الفرنسى - علقى (صوفى)
الخبول - وهو يعمل فى عيادة أمراض الغدد
الصماء ، التى لم تكن مزدهمة بطبيعة الحال ..
انتحيت به جانباً وسألته :

- « هل كانت (صوفى) تلبس سلسلة ذهبية
غليظة ؟ »

احمر وجهه حنفاً وقال كأنما ينفى تهمة :
- « إن علاقتى بها لم تصل إلى هذا الحد ..
وأنت تعرف أن .. »
صحت مفاظاً :

- « لا تكن طفلاً .. يمكن لأى أعمى أن يجيب
عن هذا السؤال بنعم أو لا .. »
بلل شفتيه بلسانه مفكراً ، ثم قال :
- « أعتقد ... نعم .. »

طبيعاً ما كان ليعرف إن كانت السلسلة تحمل
نفس نقش الشمس أم لا ، لكنها في الغالب
كذلك .. بقي سؤال أخير مهم .. هل تتعاطى أية
عقارات يا بنى ؟ عقارات مهدنة أو مخدرة
أو منومة ؟

من جديد احمر وجهه خجلاً ، وقال :

- « ليس من حقك أن تسألنى .. »

- « لكنى أسألك .. وعليك أن تجيب لأننى لست

(باركر) ولست شرطياً »

فى تردد قال :

- « إتنى أتعاطى علاجاً نفسياً .. بعض مركبات

الليثيوم والميلاتونين ، ولدى وصفة طبية تسمح

لى بذلك .. إن الاكتئاب يصيب الجميع .. »

تهدت فى رضا وقلت وأنا أتأهب للانصراف :

- « جميل .. أنت كنت تتعاطى أدوية اكتئاب ،
وأنا كنت تحت تأثير عقار هلوسة .. يمكن القول إن
هذه العقارات قد بدلت كيمياء عقولنا .. جعلتنا
محصنين ضد مد النسيان الذي أصاب الجميع هنا .. »

- « عم تتحدث بالضبط ؟ »

- « سأشرح لك فيما بعد .. »

★ ★ ★

١٣- لا يوجد تفسير آخر ..

هل أصدق هذا ؟

لا أدرى .. القصة كلها غريبة مريبة .. لكن
مشكل ألا أصدق ، أكثر بكثير من مشاكل لن أصدق ..

هل أصدق قصة الكائنين الغريبين اللذين اتخذوا
شخصيتين : الكائن الذكرى اتخذ صورة طبيب يمنى
اسمه (أحمد عنان) ، وراح يتكلم للعربية بطلاقة
ويعمارس عمله كطبيب ، بينما الكائن الأنثوى اتخذ
صورة طبيبة فرنسية سوداء اسمها (صوفى) وراحا
يعملان لمدة أشهر وسط مستشفى من الحمقى ..
هل أصدق هذا ؟ لو كاتا غير بشريين فمن الوارد
أن يجيدا أشياء لا يستطيع البشر تصورها ..

كان يدرس أمراض المناعة الخلوية .. فلماذا ؟
لو صدقتا القصة لقلنا إنه كان يحاول فهم سر

حصار المرض لهما في كل مرة .. كان يأمل أن
يجد العلاج والوقاية التي تتيح لهما الاندماج في
عالم البشر فترة أطول ..

ثم لم يمهلهما المرض ، فقرر أن
يختلبا ..

اخترقا كل العقول هنا ، وجعلا الجميع ينسون ..
أراهما يجعلان (جرتروود) تمسح كل ملفات الحاسب
الآلى ، والممرضات يحرقن للتذكر ، و(باركر)
يحرق كل أوراق التعيين الخاصة بهما .. أراهما
يجعلان الممرضة الإنجليزية ترقد مريضاً إفريقيًا
في الفراش ، وتعتقد أنه هنا منذ زمن بعيد .. وإن
ظلت ثغرات هنا وهناك : طبيب مصرى وآخر
فرنسى كان عقلاهما تحت تأثير العقارات ، فلم
يتم اختراقهما .. أشعة صدر هنا ، ومزرعة
بصاق هناك .. وبطاقة تعارف في درج ..

وهكذا كان عليهما أن يبقيا فترة أطول ، ويحاولا
إزالة هذه الآثار ، ولربما اضطررا لقتل الطبيب
المصرى كذلك ، بطريقة لا تثير الشبهات ... هذا
هو التفسير الوحيد السهل الذى لا يجد تفسيراً سواه ..

إنهما أقوى منى بكثير ، ولا أمل لحظة فى
الانتصار عليهما .. لهذا اتخذت قرارى ..

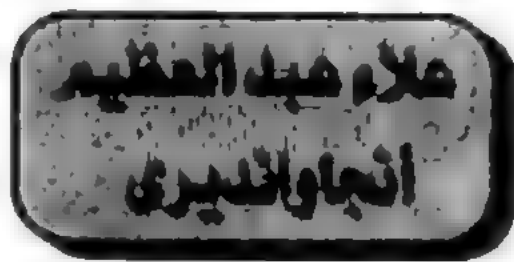
سأرور العجوز (موكلبلجلى) مع (بودرجا) ..

سأنسى كل شىء ..

لن أستطيع إقناع الفرنسى بكل ما قال
(بودرجا) ، لذا سأترك أمره للظروف فيما بعد ..

لكنى أكره أن أضيع تجربة كهذه من الوجود ،
لهذا طلبت من (بودرجا) أن نرجى زيارة القرية
يوماً آخر .. وقضيت اليوم كله فى غرفتى أكتب
هذه القصة ، وأسوف أرسلها بالبريد حالاً على

عنوان دارنا فى مصر لتتظرنى هناك .. عساي
أقروها يوماً ما وأحكيها للآخرين .. عساي أفهم
ما لم أفهمه اليوم ..



★ ★ ★

مقدمة وخاتمة معا

حدث شيء غريب اليوم وجدته جديراً بالذكر
هنا ..

أذكر أنني كنت أعمل في (سافاري) صباح
اليوم ، ثم مرت بي فترة ظلام عابرة لم أفهم
كنها ، لكنني فتحت عيني لأجدني جالسا في كوخ
إفريقي من أكواخ البانتو .. كنت جوار (بودرجا)
وأمامنا عجوز إفريقي لا بد أنه شهد حملة
(حتشبسوت) إلى بلاد (بونت) .. وفي يدي
كان نصف قرعة تحوي بقلبا سئلا ما ، وثمة مذاق
مرير في فمي ..

تكلم العجوز بلغة البانتو ، فلم أفهم حرفا ، لكنه
كان يبتسم في ثقة ..



فتحت عيني لأجدني جالسا في كوخ
إفريقي من أكواخ البانتو ..

وقال لى (بودرجا) مفسراً :

- « يقول إنك نسيت كل شيء عنهما ..
لكن تفاصيل حياتك الباقية سليمة كما هي ..
فقط ستؤمن مثل الآخرين أنهما لم يوجد
قط .. »

- « نسيت كل شيء عن من بالضبط ؟ »

ابتسم بخبث ونظر للعجوز وقال :

- « لو قلت لك ، فلسوف تتذكر ثانية !! »

ثم أمسك بيدي يدعوني إلى النهوض ، وسمعت
العجوز يواصل الكلام ..

- « ماذا يقول لك ؟ »

- « يقول إن من الأفضل ألا تكون قد كتبت
شيئاً عن التجربة .. إنها سيلاحقان هذه الأوراق
ويدمرانا »

- « أية تجربة ؟؟ »

قال وهو يقتلني إلى الباب حيث ضوء الشمس
الباهر يعمى العيون :

- « حاول أن تنسى .. فقط ثق بي يا دكتور .. »

علاء عبد العظيم
أنجاوانديري

تمت بحمد الله

- « أية تجربة ؟؟ »

قال وهو يقتلني إلى الباب حيث ضوء الشمس
الباهر يعمى العيون :

- « حاول أن تنسى .. فقط ثق بي يا دكتور .. »

علاء عبد العظيم
أنجاو انديري

تمت بحمد الله

مغامرات طيب شاب يجاهد
لكي يظل حيا وكى يظل طيباً

الرجل الذي لم يكن

القضية هنا معقدة بعض الشيء ..
إنها تلك المشكلة المألوفة : هل وجد هذا
الرجل حقاً ؟ إذن لماذا ينكرون أنه وجد ؟
أم هو لم يوجد قط ؟ إذن لماذا تعتقد أنت
وحدك ذلك ؟ هل تتخيل أنه كان موجوداً ؟
أم تتخيل أنه اختفى ؟ أم تتخيل أنهم
ينكرون اختفائه ؟



د. أحمد خالد توفيق

يوجد حل واحد سهل هو أنك جننت ..
لكنه للأسف لايجيب عن كل علامات
الاستفهام المتناثرة بسخاء هنا ...

مطايح ١٤

قرش جنيه

٢٠٥٠٠

العدد القادم

٤٤

المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

٢٠٥٠٠ ٢٠٥٠٠ ٢٠٥٠٠

٢٠٥٠٠ ٢٠٥٠٠ ٢٠٥٠٠